(كتاب)

الامام أبي نصر أحمد
ابن عبد الرزاق المقدسي الذي
جمع فيه بين كتابي العلامة الشيخ أبي منصور
الثعالبي المسمى أحدهما باللطائف
والظرائف في الاضداد والآخر
باليواقيت في بعض
المواقيت عفا
الله عنهما
آمين

(طبع بمصر)

﴿ فهرست كتاب اللطائف والظرائف للاديب أبي نصر المقدسي رحمه الله تعالى ﴾

صحيفة		صحيفة	
٢	خطبة الكتاب	٣٠	باب مدح التجارة
٤	باب مدح الدنيا		باب ذم التجارة
٥	باب ذم الدنيا	٣١	باب مدح الضياع
٧	باب مدح الدهر	٣٣	باب ذم الضياع
٨	باب ذم الدهر		باب مدح الدور والابنية
١٠	باب مدح السلطان	٣٤	باب ذم الدور والابنية
١٢	باب ذم السلطان	٣٥	باب مدح الحمام
	باب مدح عمل السلطان	٣٦	باب ذم الحمام
١٣	باب ذم عمل السلطان	٣٧	باب مدح المال
١٤	باب مدح الوزارة		باب ذم المال
١٥	باب ذم الوزارة	٣٨	باب مدح الغنى
١٦	باب مدح العقل		باب ذم الغنى
١٧	باب ذم العقل	٣٩	باب مدح الفقر
١٨	باب مدح العلوم		باب ذم الفقر
٢٠	باب ذم العلوم	٤٠	باب مدح القناعة
٢٢	باب مدح الخط والقلم		باب ذم القناعة
٢٣	باب ذم الخط والقلم	٤١	باب مدح القلة
٢٤	باب مدح الادب		باب ذم القلة
	باب ذم الادب	٤٢	باب مدح اللسان
٢٥	باب مدح الشعر والشعراء	٤٣	باب ذم اللسان
٢٧	باب ذم الشعر والشعراء		باب مدح الصمت
٢٨	باب مدح الكتب والدفاتر	٤٤	باب ذم الصمت
٢٩	باب ذم الكتب والدفاتر	٤٥	باب مدح الصبر

صحيفة		صحيفة	
٤٦	باب ذم الصبر	٦٣	باب مدح الحجاب
٤٧	باب مدح الحلم		باب ذم الحجاب
	باب ذم الحلم	٦٤	باب مدح الزيارة
٤٨	باب مدح المشورة		باب ذم الزيارة
٤٩	باب ذم المشورة	٦٥	باب مدح النساء
	باب مدح التأنى	٦٦	باب ذم النساء
٥٠	باب ذم التأنى	٦٧	باب مدح التزوج
	باب مدح الوحدة والعزلة		باب ذم التزوج
٥١	باب ذم الوحدة	٦٨	باب مدح الجوارى
٥٢	باب مدح الشجاعة	٦٩	باب ذم الجوارى
	باب ذم الشجاعة		باب مدح العيال
٥٣	باب مدح الجود		باب ذم العيال
٥٤	باب ذم الجود	٧٠	باب مدح الولد
٥٥	باب مدح البخل		باب ذم الولد
	باب ذم البخل	٧١	باب مدح البنات
٥٦	باب مدح الحقد	٧٢	باب ذم البنات
	باب ذم الحقد	٧٣	باب مدح الغلمان
٥٧	باب مدح الحياء	٧٤	باب ذم الغلمان
	باب ذم الحياء		باب مدح الخط والعذار
٥٨	باب مدح الاخوان والاصحاب	٧٥	باب ذم الخط والعذار
٥٩	باب ذم الاخوان	٧٦	باب مدح المماليك
٦١	باب مدح المزاح	٧٧	باب ذم المماليك
	باب ذم المزاح	٧٨	باب مدح الخصيان
٦٢	باب مدح العتاب	٧٩	باب ذم الخصيان
	باب ذم العتاب		باب مدح النبيذ

صحيفة

٨١ باب ذم النبيذ
باب مدح الصبوح
٨٢ باب ذم الصبوح
٨٤ باب مدح السماع
٨٥ باب ذم السماع
باب مدح الزجاج
٨٦ باب ذم الزجاج
٨٧ باب مدح الذهب
٨٨ باب ذم الذهب
باب مدح الشطرنج
٨٩ باب ذم الشطرنج
٩٠ باب مدح النرجس
٩١ باب ذم النرجس
باب مدح الورد
٩٢ باب ذم الورد
باب مدح الشتاء
٩٣ باب ذم الشتاء
٩٤ باب مدح الصيف
باب ذم الصيف
باب مدح المطر
٩٥ باب ذم المطر
٩٦ باب مدح القمر
باب ذم القمر
باب مدح السفر
٩٨ باب ذم السفر

صحيفة

٩٨ باب مدح الغربة
٩٩ باب ذم الغربة
١٠٠ باب مدح الفراق
باب ذم الفراق
١٠١ باب مدح البكاء
١٠٢ باب ذم البكاء
١٠٣ باب مدح الرؤيا
باب ذم الرؤيا
١٠٤ باب مدح الهدية
١٠٥ باب ذم الهدية
باب مدح الدين
باب ذم الدين
١٠٦ باب مدح الشباب
١٠٧ باب ذم الشباب
باب مدح الشيب
١٠٩ باب ذم الشيب
١١٠ باب مدح الخضاب
١١١ باب ذم الخضاب
باب مدح المرض
١١٢ باب ذم المرض
باب مدح الموت
١١٣ باب ذم الموت
١١٤ باب مدح السواد
١١٦ باب ذم السواد
باب مدح الغوغاء والسفهاء

صحيفة
١١٧ باب ذم الغوغاء والسفهاء
باب مدح العمى
١١٨ باب ذم العمى
١١٩ باب مدح السجن
١٢٠ باب ذم السجن
باب مدح التعليم
١٢١ باب ذم التعليم
باب مدح الرقيب

صحيفة
١٢١ باب ذم الرقيب
١٢٢ باب مدح لا
باب ذم لا
باب مدح اليمين
١٢٣ باب ذم اليمين
باب مدح شهر رمضان
١٢٤ باب ذم شهر رمضان
١٢٥ باب مدح الوعد
باب ذم الوعد

(تمت)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال أبو نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدسي أسعده الله برضاته)

الحمد لله خير ما طلب به استفتاح الكلام واستنجاح المرام وصلى الله على سيد الأنام محمد وآله وأصحابه الطيبين الكرام (وبعد) فهذا الكتاب كان في نسختين متناسبتي الجمع متناسختي الوضع سمى الشيخ أبو منصور الثعالبي رحمه الله تعالى أحدهما كتاب الظرائف واللطائف والآخر كتاب اليواقيت في بعض المواقيت وأفرد لكل منهما صدرا أورد فيه لمن عمله باسمه ذكرا فجمعت بينهما في قرن وعطفت عنانيهما الى سنن اختصارا للطريق الى فوائدهما وضما لشمل فرائدهما وعسى أن يحمد أثري فيما آثرت ويستظرف رأيي رأيت فيه وأشرت والله تعالى يوزعنا من الاعتقاد أرصنه ومن العمل أحسنه ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فافتتح الظرائف واللطائف بقوله حمدا لخالق الخلق وباسط الرزق وصلواته على الصادع بالحق محمد رسوله الداعي الى الصدق وشكرا لبحر المجد وبدر الارض مولانا الامير السيد الملك المؤيد العادل العالم أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه مولى أمير المؤمنين أدام الله سلطانه وحرس عزه ومكانه فقد بسط باع العدل وأطال عنان الفضل وجلا صفحة الاحسان

وفرش مهاد الامن والامان ونشر شعاع اليمن على أهل الايمان وأقام قناة الدين ومد رواق الملك المتين وفاق من فى الارض بمكارم الاخلاق

وكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يجر والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

ثم وجدد رسوم العلم بعد أن نسجت عليها العنكبوت وأحيا أنواع الآداب وقد كادت أن تموت فهو يحبها حب المحسن لمن أحسن اليه والغارس غرس يديه ويتوفر على استجلاب ما بعد من دررها واستثارة ما كمن من غررها ويحرص عليها حرص النفس على تنفس الهواء ويطلبها طلب طير الماء للماء ذلك لامتزاج الادب بطبعه كامتزاج الشرف بنبعه والتحام الفضل بخلقه كالتحام الكرم بخلقه وكونه من السودد فى سواد عينه وسويداء قلبه فعين الله عليه من كل طرف عائن وقلب خائن وأدام الله جمال العالم بطول عمره وثبات ملكه ونفاذ أمره وانتظام سلكه ولا أخلاه من علو الراية وادراك الغاية واعزاز الاولياء واذلال الاعداء ولقاء النجح بين مطارح آرائه ومصارف أقلامه والصنع فى مضارب سيوفه ومناقب أعلامه وهذا دعاء لو سكت كفيته * لانى سألت الله فيك وقد فعل

(ثم ان هذا الكتاب) دلنى ما استسعدت به من الخدمة واستشعرته من شكر النعمة على ابتداء وضعه وابتداع جمعه واختراع ما لم أسبق الى مثله ولم أشارك فى ارتباط شكله فالفته بالاسم العالى بعنة الله فى مدح كل شئ وذمه وتزيينه وتهجينه وسياقه أحسن ما أحاضر به فيه وفى ضده ((وترجمته بالظرائف واللطائف فى الاضداد)) وافتتح اليواقيت فى بعض المواقيت بخطبة هذه نسختها الحمد لله ما أمكن الحمد الى أن يقطع العدو وصلواته على خير من أرسل بخير ما أنزل سيدنا محمد المصطفى وآله وأصحابه الذين ارتضى (هذا) أطال الله بقاء الامير الاجل كتاب مترجم باليواقيت فى بعض المواقيت فى مدح كل شئ وذمه ولم أسبق الى جمعه وابتداع وضعه وشاهدى على دعواى ان خزانة كتبه عمرها الله بدوام عمره ونظام أمره وهى أم الفقر والغرر ومعدن الملح والطرف وقانون التحف والنكت خالية من مثله فى فنه وان العبد أبا نصر سهل ابن المرزبان وهو حليف الكتب وأليفها وابن بجدتها وأخو جملتها وأبو عذرتها لم تقع عينه على شبهه وطالما اقترح على الزمان أن يتفق لاحد تأليفه ويتقدمله

تبويبه وترتيبه فافتتحته بنيسابور وتطرفته بجرجان وتنصفته بالجرجانية واستتممته بغزنة اذ كان مذخورا العالى مجلسه ومقصورا على خزانة مجده ولم يعن عليه الاعلو همته وعن دولته واذا كان مولانا أوحد السادات وهم آحاد الدنيا وفرد الملوك وهم أفراد العليا فينبغى أن يكون الكتاب الذى يخدم به من وسائط عقود الادب وأناسى عيون الكتب ولئن أحيانى الله تعالى على يده و رزقنى المثول بحضرة عزه وكعبة سودده لانفقن باقى عمرى على خدمته وأغرب وأبدع تأليفاتى باسمه وسمته لازال مولانا للمعالى كالينبوع للماء والزند للنار وأدام الله ملكه وأعز نصره و زاد علو أمره وأراه من أشباله وأهاليه ليوثا و بدورا يستقلون بأعباء المملكة ويصلون جناحه فى حماية الحوزة ويرحم الله عبدا قال آمينا وهذا الكتاب مشتمل على مائة واثنين وستين بابا

(باب مدح الدنيا)

فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه الدنيا حلوة خضراء فمن أخذها بحقها بورك له فيها (وذكر) أمير المؤمنين على رضى الله عنه الدنيا فقال هى دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها وهى مسجد أحباء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها وشوقت بسرورها الفانى الى السرور الباقى وحذرت ببلائها الماضى البلاء الغابر التالى ترغيبا وترهيبا فيا أيها الذام المغتر بتغريرها المنخدع لاباطيلها حتى غرتك أبمصارع آبائك للبلا أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى فهذا أحسن ما روى فى مدحها وقال ابن المعتز فى رسالة له الدنيا دار التأديب والتعريف ومضمار التهذيب والتثقيف التى بمكروهها يوصل الى محبوب الآخرة وميدان الاعمال السابقة باصحابها الى الجنان ودرجة الفوز التى يرقى فيها المتقرب الى دار الخلد والرضوان وهى الواعظة لمن عقل والناصحة لمن قبل وبساط المهل ورباط العمل وقاصمة الجبارين وملحقة الرغم بمعاطس المتكبرين وكاسية التراب أبدان المختالين وصارعة المغترين ومصرعة المعتزين ومفرقة أموال الباخلين وقاتلة القتالين والعادلة بالموت على العادلين ومهبط القرآن المبين ومسجد

العابدين وأم النبيين وناصرة المؤمنين ومبيدة الكافرين والحسنات فيها مضاعفة والسيئات بالامثال محدوة ومع عسرها يسران والله تعالى ضمن أرزاق أهلها وأقسم فى كتابه بعافيها ورب طيبة من نعيمها قد حمد الله تعالى عليها فتلقتها أيدى الكتبة ووجبت بها الجنة ورب مال من زينتها وجه الى معروفها فكان جوازا على الصراط وكم نائبة من نوائبها وحادثة من حوادثها قد راضت الفهم ونبهت الفطنة وأذكت القريحة وأفادت فضيلة الصبر وكثرت ذخائر الاجر (وقيل) لعلى رضى الله عنه يا أمير المؤمنين ألا ترى حرص الناس على الدنيا فقال هم أبناؤها فأخذ هذا المعنى محمد بن وهيب الحميرى وقال

نراع لذكر الموت ساعة ذكره * ونعترض الدنيا فنلهو ونلعب
وقد ضمت الدنيا الى صروفها * وخاطبنى اعجامها وهو معرب
ولكننا منها خلقنا لغيرها * وما كنت منه فهو شئ محبب

(وقال أبو العتاهية)

ما أحسن الدنيا واقبالها * اذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها * عرض للادبار اقبالها

(وقال محمود الوراق)

هى الدنيا وزخرفها * ولكن ما مصائرها * لئن غرت منابرها
فقد وعظت مقابرها * وان غشت مواردها * فقد نصحت مصادرها

(قال) وأنشدنى أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمى لبعضهم

تذم دنيا ان تأملتها * وجدت منها ثمن الجنة

وقال عبد الملك بن صالح ما جشت الدنيا باظرف من النبيذ فنظمه أبو محمد بن مطران الشاشى

ألا ان دنياك معشوقة * يفاد بها كل عيش لذيذ
ولكنها قط ما جشت * من الملهيات بمثل النبيذ

(وقلت) فى كتاب المبهج الدنيا معشوقة ريقها الراح

(باب ذم الدنيا)

(قال) بعض الحكماء الدنيا دار غرارة ان بقيت لها لم تبق لك (وقال) آخر واجد الدنيا سكران وفاقدها حيران (وقال آخر) أف من أشغال الدنيا اذا أقبلت

ومن حسراتها اذا أدبرت وقال آخر ان الدنيا ليست تعطيك لتسرك ولكن لتغمك وتغرك (وقال آخر) الدنيا أشبه شيء بظل الغمام وحلم النيام (وقال الحسن) حلالها حساب وحرامها عقاب وقال يحيي بن معاذ الدنيا خمر الشيطان فمن شرب منها سكر فلم يفق الا فى عسكر الموتى نادما خاسرا وقال أيضا الدنيا جارية زانية ولو كانت عفيفة لم يقربها أحد وقال عبادة الدنيا قحبة فيوما عند عطار ويوما عند بيطار (وقال) ابن السماك الدنيا كالعروس المجلوة تشرفت لخطابها وفتنت بغرورها فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والابدان لها عاشقة وهى لازواجها قاتلة (وقال) ابن المعتز أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام (وقال آخر) خير الدنيا حسرة وشرها ندم وقال آخر مصائب الدنيا أكثر من نبات الارض (وقال) المأمون لو نطقت الدنيا ما وصفت نفسها بأحسن من قول أبي نواس

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

(وقد ألم به ابن بسام بقوله)

أف لدنيا وأيامها * فانها للحزن مخلوقة * غمومها لا تنقضى ساعة
عن ملك فيها ولا سوقة * يا عجبا منها ومن شأنها * عدوة للناس معشوقة

(ومن الامثال السائرة فيها قول مسلم بن الوليد الانصارى)

دلت على عيبها الدنيا وصدقها * ما استرجع الدهر مما كان أعطانى

(وقول ابن الرومى)

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لافسح مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهل كانه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

وقال المتنبي

أبدا تسترد ما تهب الدنيا فياليت جودها كان بخلا
وهى معشوقة على الغدر لا تحفظ عهدا ولا تتمم وصلا
شيم الغانيات فيها فلا أدرى لذا أنث اسمها الناس أم لا

(وقال آخر)

أف للدنيا الدنيه * خبثت فعلا ونيه
عيشها بدؤه هم * وفى عقباه المنيه

(وقلت من قصيدة)

تسل عن الدنيا ولا تخطبنها * ولا تنكحن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها * ومكروهها ان ماتدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا * وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراه ذعاف ومركب * شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يعجب الناس حسنه * ولكن له أسرار سوء قبائح

(وقال آخر) هي الدنيا تقول بملء فيها * حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم طول ابتسامي * فقولي مضحك والفعل مبكي

(وقلت) في الكتاب المبهج نسيم الدنيا يقصر عن سمومها وأغذيتها الاتفي بسمومها وفيه ساكن الدنيا راحل وانفاسه رواحل وأيامه مراحل وفيه الدنيا عروس تغتال الاخدان وتختان الاختان وفيه أمر الدنيا أمر وتحت بشرها غمر وفيه اقبال الدنيا كالمامة ضيف أو سحابة صيف أو زيارة طيف (وفيه) هبات الدنيا منغصة باحداثها وقصورها مبغضة باجداثها (وفيه) صاحب الدنيا بين العسل والصاب والصحة والاوصاب (وفيه) المرء من دنياه بين أماني ممدوده وعواري مردوده

(باب مدح الدهر)

قال بعض الحكماء الدهر أنصح المؤدبين وقال آخر قد وعظنا الدهر لو اتعظنا ونصحنا لو انتصحنا (قال الشاعر)

عمري لقد نصح الزمان وصرفه * ومن العجائب ناصح لايشفق

(وقال) العتابي من لم يؤدبه والده أدبه الليل والنهار (وقال بشار)

ان دهرا يضم شملي بسلمى * لزمان قد هم بالاحسان

(وقال البحتري) هل الدهر الاغمرة وانجلاؤها * وشيكا والاضيقة وانفرادها
(وقال الاخطل) وان أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لاعار بما فعل الدهر
(وقال آخر) يقولون الزمان به فساد * لقد فسدوا وما فسد الزمان

(وأنشدني العباسي المأموني لبعضهم)

تذم دهرك جهلا في تصرفه * لاتشك دهرك ان الدهر مأمور
ماذنب دهرك والاقدار غالبة * وكل أمر اذا وافاك مقدور

فاصبر على حدثات الدهر وارض به * ما دام في الدهر مهموم ومسرور

وانشدني أبو القاسم حبيب المذكور لغيره

رضا بالدهر كيف جرى وصبرا * ففي أيامه جمع وعيد

ولم يخشن عليك قضيب عود * من الايام الا لان عود

(ولابي الفتح بن العميد)

أبن لي من يفي بشكر الليالي * حين ضاقت خيالها بخيالي

لم يكن لي على الزمان اقتراح * غير هامنية تفادبها لي

(وللوزير المهلبي) رق الزمان لفاقتي * ورثى لطول تحرقي

وأنالني ما أرتجي * وأفانني ما أتقي

فلاصفحن عما جنا * ه من الذنوب السبق

حتى جنايته بما * فعل المشيب بمفرقي

(باب ذم الدهر)

(قال) بعض الحكماء أف للدهر ما أكدر صافيه وأخيب راجيه وأعدى أيامه ولياليه (وقال آخر) من له يدان بغوائل الزمان (وقيل) يسار الدهر في الاخذ أسرع من يمينه في البذل لا يعطي بهذه الا ارتجع بتلك (وقال آخر) الدهر لا يؤمن يومه ويخاف غده ويرضع ثديه وتجرح يده * وقيل الدهر يغرو يضر ويسوء من حيث يسر * وقال آخر الدهر لا تهني فيه المواهب حتى تتخللها المصائب ولا تصفو فيه المشارب حتى تكدرها الشوائب (وفي فصل لابن المعتز) هذا زمان متلون الاخلاق متداعي البنيان موقظ الشر منيم الخير مطلق أعنة الظلم حابس روح العدل قريب الاخذ من الاعطاء والكآبة من البهجة والقطوب من البشر مر الثمرة بعيد المجتنى قابض على النفوس بكربته منيخ على الاجسام بوحشته لا ينطق الا بالشكوى ولا يسكت الا على غصص وبلوى (ومثله فصل للصاحب) الزمان حديد الظفر لئيم الظفر حلو المورد مر المصدر أثره عند المرء كاثر السيف في الضريبة والليث في الفريسة (ولشمس المعالي قابوس بن وشمكير) الدهر شركله مفصله ومجمله ان أضحك ساعة أبكى سنة وان أتى بسيئة جعلها سنة

ومن أراد منه غير هذا سيره أراد من الاعمى عينا بصيره ومن ابتغى منه الرعاية ابتغى من الغول الهدايه (ومن) أحسن ماقيل فى ذمه قول ابن المعتز وهو الامام فى ذلك ألست ترى ياصاح ما أعجب الدهرا * فذما له لكن للخالق الشكرا

لقد حبب الموت البقاء الذى أرى * فيا حبذا منى لمن يسكن القبرا

وله يادهر ويحك قد أكثرت فجعاتى * شغلت أيام دهرى بالمصيباتى

ملأت ألحاظ عينى كلها حزنا * فأين لهوى وأحبابى ولذاتى

حمدا لربى وذما للزمان فما * أقل فى هذه الدنيا مسراتى

وله ياصاحبى ان الزما * ن كما علمت وما علمته * يفنى الذى جمعته

بيدى ويحصد ما زرعته * ويخون من صافيته * عمدا ويعشق من مقته

وجهلته فحمدته * وذممته لما عرفته

ولطالما عاتبته * حتى على رغمى تركته

(وقال عبدالله بن طاهر)

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى

فمن سره أن لايرى مايسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

(وقال بعضهم)

ألم تر أن الدهر يوم وليلة * يكران من سبت عليك الى سبت

فقل لجديد الدهر لابد من بلى * وقل لاجتماع الشمل لابد من شت

(وقال البستى)

صبرا على الدهر الخؤن وريبه * يانفس كيلا تبتلى بكآبه

واذا صبرت على اساءة ظالم * لاتندمى فثوابه بلك لا به

(ومن قلائد ابن الرومى فى هذا المعنى)

دهر علا قدر الوضيع به * وترى الشريف يحطه شرفه

كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا وتعلو فوقه جيفه

(وانشدنى أبو بكر الطبرى)

الدهر يستخدم من يخدم * حتى يذيق الهون من يكرم

كالارض لا تطعم من فوقها * الا لكى تطعم من تطعم

(ولغيره) يامحنة الدهر كفى * ان لم تكفى فخفى * ما ان يكن ترحمينا
من طول هذا التشفى * ذهبت أطلب بختى * فقيل لى قد توفى
نور ينال الثريا * وعالم متخفى

(ولابى محمد المروزى)

تقاضاك دهرك ما أسلفا * وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تنكرن فان الزمان * جدير بتشتيت ما ألفا

(ولابى جعفر الموسوى)

أى خير ترجو بنو الدهر فى الدهر وما زال قاتلا لبنيه
من يعمر يفجع بفقد الاخلا * ومن مات فالمصيبة فيه

(وقلت) أقول والقلب مكدود باحزان * والصبر أبعد مما بين أجفانى
حتى متى أنا أيدى العض أنملتى * غيظا على زمن قد رام ازمانى
فكل يوم أرانى من نوائبه * كاننى أصبع والدهر أسنانى

(وقلت أيضا) كم الى كم تبرى بحياتى * أنا لوى تلوى الحيات
تحت عبء من الزمان ثقيل * وخطوب قوسن منى قناتى

(ولابن لنكك البصرى)

يا زمانا ألبس الاحرار ذلا ومهانه * لست عندى بزمان
انما أنت زمانه * كيف أرجو منك خيرا * والعلى فيك مهانه
أجنون ما أراه * منك يبدو أم مجانه

(ولقابوس بن وشمكير)

قل للذى بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر الامن له خطر
ففى السماء نجوم غير ذى عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر

(وقال آخر) يا دهر ويحك ماذا الغلط * وضيع علا وشريف هبط
حمار يرتع فى روضة * وطرف بلا علف يربط

(باب مدح السلطان)

(قد قرن) الله طاعته وطاعة النبى بطاعة السلطان حيث قال جل ذكره أطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله فى أرضه يأوى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر واذا جارت الولاة قحطت السماء وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن وقال الفضيل بن عياض رحمه الله لو كانت لى دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان قيل ولم تقدمه على نفسك قال ان دعوتى لنفسى لا تنفع غيرى فاذا كانت له انتعش البلاد والعباد بعدله وصلاحه (وقال) عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه لابد للانام من وزعة وقيل للحسن ما تقول فى السلطان فقال ما عسيت أن أقول فى قوم يلون من أمورنا خمسة الجمعة والجماعة والثغور والحدود والفىء والله ما يستقيم الدين الا بهم وان جاروا وظلموا ولما يصلح الله بهم أكثر مما يفسد (وقال) الجاحظ لولا السلطان لاكل الناس بعضهم بعضا كما أنه لولا الراعى لاتت السباع على الماشية (ومن الامثال) جاورملكا أو بحرا وفى فصول ابن المقفع فساد الرعية بلا سلطان كفساد الجسم بلا روح وفى بعض كتب العجم ان الملك العادل كالشمس فى الشتاء والقمر فى الخريف والرخاء فى جميع الازمنة وهو فى الاصحاب كالرأس فى الجسد وفى الاولياء كماء الغسل وفى الحرب كالحريق المشتعل (وقيل) مثل الاسلام والسلطان والاعوان والرعية كالفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد لا يقوم بعض ذلك الا ببعض وقال ابن المعتز الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى وذكر ابن المقفع فى يتيمته السلطان وما للناس فيه من كثرة المنافع وقلة المضار كالشمس فى النهار وشبه ما يصل الى أكثر الناس من عدله وفضله مع ما عس بعضهم من الظلم بالغيث الذى يغيث البلاد وينعش العباد ويعم الاودية ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق والرياح التى هى روح النفوس ولقاح الثمار وبها تسير سحائب الجو وسفائن البحر وقد تضر بكثير من الناس وتتعدى الى أموالهم ونفوسهم وبالشتاء والصيف اللذين بتعاقبهما صلاح الحرث والنسل وحياة الحيوان والنبات وقد يكون الضر والاذى فى البرد اذا لذع والحر اذا سفع وبالليل الذى جعله الله سكنا ولباسا وقد تعدو فيه هوام الارض وسباعها ويستوحش به الوحيد وذو العلة والمسافر فى القفر وبالنهار الذى جعله الله ضياء ونشورا ومعاشا وقد تصبح فيه الغارات والوقائع

و يكون في ظهائره النصب والغوب وليس ما يصل الى الآحاد والشواذ من مكروه الامور العامة النفع مزيلا لها عن طريق الحمد وكذلك المضار اذا اتفقت بأن تتضمن نفعا للقليل من الناس مع اجحافها بالكثير لم تزل عن طريق الذم

(باب ذم السلطان)

(قال) بعض الحكماء اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويأخذ أخذ السبع ومن الامثال الملك عقيم أي لا أرحام بين الملوك وبين أحد وفيهما من ملك الا استأثر وقال المأمون ان فينا معشر الملوك حسدا واستئثارا ومحكاو لجاجا وكان أبو علي الصغاني يقول من والانا أخذنا ماله ومن عادانا أخذنا رأسه (وفي كتاب كليلة ودمنة) من سكر السلطان أنه يرضى عمن استوجب السخط ويسخط على من استوجب الرضا من غير سبب معلوم وكذلك قالت العلماء خاطر من ولج في البحر وأشد مخاطرة منه خادم السلطان وقيل أسرع الاشياء تقلبا قلوب الملوك ويقال اذا تغير السلطان تغير الزمان وقيل سكر السلطان أشد من سكر الخمر ويقال اعتزل السلطان بجهدك فان من خدمه بحقه وشرطه حال بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لم يوف خدمته حقها انحسر الدنيا والآخرة * وكان الفضل بن مروان يقول ما رأيت أقرب رضا من سخط ولا أسرع ما بين قرب رضا وسخط من الملوك ويقال ثلاثة لا أمان لهم البحر والزمان والسلطان وكان حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه يقول اياكم ومواقف الفتن يعني أبواب السلاطين (وقال) ملك لبعضهم لم لا تأتينا قال ما أصنع باتيانك وانك ان أدنيتني فتنتني وان أبعدتني أحزنتني (ويقال) ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يغتر بهن المال والصحة والمنزلة من السلطان (وقال) البديع ان الملوك ان خدمتهم ملوك وان لم تخدمهم أذلوك وكان الضحاك بن مزاحم يقول اني لاسهر عامة ليلي مفكرا ألتمس كلمة أرضي بها سلطاني ولا أسخط ربي فلا أجدها

(باب مدح عمل السلطان)

(كان) معاوية رضي الله عنه يقول نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع وعوتب بعض الحكماء على خطبته عمل السلطان فقال لقد خطبه وطلبه الصديق بن اسرائيل بن الذبيح بن الخليل عليهم الصلاة والسلام حيث قال للملك بمصر اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (وفي كتاب كليلة ودمنة) مثل السلطان في اقباله على

الاقرب فالاقرب منه دون الافضل فالافضل مثل الكرم الذى لا يتعلق بأبعد الشجر بل بأقرب بها منه *ومن أمثال هذا الباب قول زياد فى رجل ولى تحصيب جامع البصرة آثر الامارة ولو على الحجاره * ومن أمثال العجم من تبع الاسود لم يحرم لذيذ الصيد (ومن أمثال بغداد) غبار العمل خير من زعفران التعطيل وكان يونس النحوى يقول الولاية وكل مدح والعزل وكل ذم والشيب وكل عيب ويقال أربعة لا يستحيا من خدمتهم السلطان والوالد والضيف والاستاذ وكان أحمد بن اسرائيل يقول أربعة لا يقيمها الا عمل السلطان اتصال الدعوات واتخاذ القينات والابنية والتمتع بالسرارى الثمينة (ويقال) من خدم السلطان فهو خادم من جهة ومالك من أخرى ومن خدم الرعية فهو خادم من كل جهة (ويقال) من خدم السلطان خدمه الاخوان والجيران وقيل أربعة لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والسلطان

﴿ باب ذم عمل السلطان ﴾

(من) أمثال العامة صاحب السلطان كراكب الاسد يهابه الناس وهو من مركبه أهيب وقيل من تحسى مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين وقيل من أكل من مال السلطان زبيبة أداها تمرة (وفى كتاب كليلة ودمنة) مثل السلطان كالجبل الصعب المرتقى الذى فيه كل ثمرة طيبة وكل سبع حطوم فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد (وكان) ابراهيم بن العباس يقول أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلا ثم وقعوا منه فكان أقربهم الى الردى أبعدهم فى المرقى ويقال أدوم التعب خدمة السلطان وقيل من أراد العز بالسلطان لم ينله حتى يذل ومن فصول ابن المعتز أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما أن أقرب الاشياء الى النار أشدها احتراقا وقال أيضا من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة ويقال لا تتشبث بالسلطان فى وقت اضطراب الامور عليه فان البحر لا يكاد يسلم منه راكبه فى حال سكونه فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه وقيل لا يدرك الغنى بالسلطان الا كل نفس خائفة وجسم تعب ودين منثلم (وقد نظمه أبو الفتح البستى فقال)

يامن يرى خدمة السلطان عدته * ما آرش كذلك الا الكد والندم
دع الملوك فخير من وجودك ما * ترجوه عندهم الحرمان والعدم
انى أرى صاحب السلطان فى ظلم * ما مثلهن اذا قاس الفتى ظلم

لجسمه تعب والنفس خائفة * وعرضه عرضة والدين منثلم

(وله أيضا) صاحب السلطان لابد له * من غموم تعتريه وغمم

والذى يركب بحرا سيرى * قحم الاهوال من بعد قحم

(وللصاحب فى معناه)

اذا أدناك سلطان فزده * من التعظيم واحذره وراقب

فما السلطان الا البحر عظما * وقرب البحر محذور العواقب

(ويقال) الولاية حلوة الرضاع مرة الفطام وقال بعض الزهاد تباعد من السلطان ولا تأمن خدع الشيطان ويقال العزل طلاق الرجال وقال ابن المعتز

سكر الولاية طيب * وخماره ذل شديد

كم تائه بولاية * وبعزله ركض البريد

(وكان) ابن أبى البغل يقول لا تعدن مال المتصرف مالا فانه يغدو غنيا ويروح فقيرا وفى فصل للصابى تهنئة بالعزل ليهن مولاى خفة الظهر ودعة الصدر بالتفصى عن العمل الذى هو مع هذه العواقب الوخيمة والرسوم الذميمة بمنزلة الحبائل المبثوثة والاشراك المنصوبة

(باب مدح الوزارة)

الوزارة اسم جامع للمجد والشرف والمروءة وهى تلو الامارة والدرجة العليا والرتبة الكبرى فى الرياسة والسيادة (ولمنصور النميرى) فى يحيى بن خالد البرمكى

ولو علمت فوق الوزارة رتبة * تنال بمجد فى الحياة لنالها

والانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يستغنوا عن الوزراء فكيف العظماء والملوك وقد نطق القرآن بوزارة هرون لموسى عليهما الصلاة والسلام حيث قال جل وعز حكاية عن دعاء موسى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى ثم قال فى نظام الآية قد أوتيت سؤلك ياموسى فدل على أنه جعله وزيره صاحب أمره وشريكه وأفصح عن حسن أثر موقع الوزارة وجلالتها ووقوع الحاجة اليها (وكان) آصف بن برخيا وزير سليمان عليه الصلاة والسلام وكان سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لى وزيران من أهل الارض ووزيران من أهل السماء فاما اللذان فى الارض فأبو بكر وعمر وأما اللذان فى السماء فجبريل وميكائيل

عليهما السلام وقال عليه الصلاة والسلام اذا أراد الله بملك خيرا جعل له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا أعانه وأراد شرا كفه (وقيل) لا تغتر بكرامة الامير اذا غشك الوزير والى هذا أشار ابن العميد وزاد فيه حيث قال لصديق له من العلوية وكان مختصا بأميره ركن الدولة

وزعمت انك لست تفكر بعدما * علقت يداك بذمة الامراء
هيهات لم تصدقك فكرتك التى * قد أوهمتك غنى عن الوزراء
لم تغن عن أحد سماء لم تجد * أرضا ولا أرض بغير سماء

والذي يحكم بشرف الوزراء ومكانتهم ومشاركتهم الملوك فى الامور وتصريف أعنة التدابير ما فى المزدوجة المعروفة بذات الحلل قصيدة ابن المعتز

اذا طلبت نائل الامير * فالطف له من قبل الوزير

وكان أنوشروان يقول لا يستغنى أعلم السلاطين عن الوزير ولا أجود السيوف عن الصقال ولا أفره الدواب عن السوط ولا أعقل النساء عن الزوج وما أحسن قول أبي تمام لمحمد بن عبد الملك وزير المعتصم والواثق بعده

أبا جعفر ان الخليفة ان يكن * لوأردنا بحرا فانك ساحل
تقطعت الاسباب أن يغرلها * قوى أو يصلها من يمينك واصل

(وقال آخر) لامير المؤمنين المرتجى * بحر جود ليس يعدوه أحد
وأبو النجم لمن يقصده * مشرع منه الى البحر يرد

وكان الصاحب يقول مدحت بمائة ألف بيت ليس أحب الي من قول أبي سعيد الرستمي حيث قال

ورث الوزارة كابرا عن كابر * موصولة الاسناد بالاسناد
يروي عن العباس عباد وزا * رته واسماعيل عن عباد

(باب ذم الوزارة)

كان أحمد بن اسرائيل يذم الوزارة ويستكبر منه فلما خطبها وتقلدها قيل له ألم تكن تذمها قال بلى ولكنها مركب بهي شريف شهي لا تطيب النفوس بتركه على ما فيه من عظيم الخطر (وقال) المأمون لأحمد بن خالد هل لك فى أن أستوزرك قال دعني يا أمير المؤمنين يكون بيني وبين الغاية درجة يرجوها الصديق ويخافها العدو فلست

أريد بلوغ الغاية لئلا يقول عدوّي قد بلغها وليس الا الانحطاط وقد قال الشاعر

ان الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك كان وزيرا

وكان ابراهيم بن المدبر اذا عرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابي

تلوم على ترك الغنى باهلية * نفى الدهر عنها كل طرف وتالد
ترى حولها النسوان يرفلن كالدمى * مقلدة أعناقها بالقلائد
فقلت لها لما رأيت دموعها * تحدرن فوق الخد مثل الفرائد
أمرك انى نلت ما نال جعفر * من المال أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أعضنى * معضهما بالمرهفات البوارد
ذرينى تجئنى ميتتى مطمئنة * ولم أتجشم هول تلك الموارد
فان عليات الامور مشوبة * بمستودعات فى بطون الاساود

(وقال) بعض الحكماء أكثر الناس حاسدا وعدوا ومنابذا وزير السلطان وكان فى كتاب مروان أخوف ما تكون الوزراء عند سكون الدهماء (وقيل) مثل الملك الصالح اذا كان وزيره فاسدا مثل الماء الصافى العذب النمير الذى فيه التماسيح لا يستطيع الانسان وروده وان كان عائما والى الماء ظامئا (وللبستى فى معناه)

عرضوني على وزارة بست * ورأوها من أعظم الدرجات
قلت لا أشتهى وزارة بست * اننى لم أمل بعض حياتى

(وله) أكتاب بست كم تفاخركم على * وزارة بست وهى قاصمة الظهر
وزارة بست كالهباء اذا سرى * ومدتها منذ الغداة الى الظهر
فلا تخطبنها انها ضرة النهى * ويغنيها روح البعولة فى المهر

(وله) وزارة الحضرة الكبيره * خطيئة بل هى الكبيره
فلا تردها ولا تردها * فانها محنة مبيره

(باب مدح العقل)

(قال) الله تعالى فى شأن تعظيم العقل ان فى خلق السموات والارض الى قوله لآيات لقوم يعقلون وقال جل ذكره فاتقون يا أولى الالباب وقال عز اسمه ان فى ذلك لعبرة لأولى الالباب (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم الناس يعملون الخيرات وانهم يعطون أجورهم يوم القيامة على قدر عقولهم (وقيل) له عليه الصلاة والسلام فى

الرجل الحسن العقل الكثير الذنوب فقال مامن آدمى الاوله خطايا وذنوب فمن كانت سجيته العقل لم تضره ذنوبه لانه كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة تمحو ذنوبه وتدخله الجنة وقال سعيد بن المسيب فى قوله عز وجل وأشهدوا ذوى عدل منكم يعنى ذوى عقل وقال مجاهد فى قوله تعالى جده ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وقال الضحاك فى قوله جل ثناؤه لينذر من كان حيا أى عاقلا وقال الحسن العقل هو الذى يهدى الى الجنة ويحمى عن النار لقوله عز وجل حكاية عن أهل النار وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير وقال حكيم لامال أعوز من العقل وقيل العقل أشرف الاحساب وماعبد الله بمثل العقل وقال آخر العقل أحصن معقل وقال آخر أشد الفاقة عدم العقل وقال آخر كل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا (ومن فصول ابن المعتز) العقل غريزة تربيها التجارب (ومنها) حسن الصورة الجمال الظاهر وحسن العقل الجمال الباطن (ومنها) ليست الصورة الانسان انما الانسان العقل (ومنها) ماأبين وجوه الخير والشر فى مرآة العقل ان لم يصدأها الهوى (ومنها) العقل صفاء النفس والجهل كدرها وقال الشاعر

يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى قومه بحسيب
اذا حل أرضا عاش فيها بعقله * وماعاقل فى بلدة بغريب

وفى كتاب رهن العيون فى الجد والجون فى مدح العقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أكرم على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب ثم قال لو أن رجلا قاتل فى سبيل الله وحج واعتمر وغزا لما دخل الجنة الا بمقدار عقله وقال أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه العقل قرة عين والجهل رائد حين وقيل رغبة العاقل فيما يكفيه وهم الجاهل فيما لا يعنيه وقيل من اتعظ بأبلغ العظات نظر الى محلة الاموات ومصارع الآباء والامهات وقلت فكرته فى الشهوات

﴿ باب ذم العقل ﴾

(كان) يقال العقل والهم لا يفترقان (وقال ابن المعتز)

وحلاوة الدنيا لجاهلها * ومرارة الدنيا لمن عقلا

ومن قصار فصول ابن المعتز العاقل لا يدعه ما ستر الله من عيوبه يفرح بما أظهره الله من محاسنه (وله فصل يليق بهذا الباب فى نهاية الحسن) العقل كالمرآة المجلوة يرى صاحبه فيها مساوى نفسه فلا يزال فى صحو ومهموما متعذر السرور فاذا شرب صدئ عقله بمقدار ما يشرب فان أكثر منه غشيه الصدأ كله حتى لا تظهر له صورة تلك المساوى فيفرح ويمرح والجهل كالمرآة الصدئة أبدا فلا يرى صاحبه الا مسرورا أبدا نشطا قبل الشرب وبعده (ومن قلائد المتنبي قوله)

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

قال أبو الفتح بن جنى هذا كقولهم ماسر عاقل قط (ولما) عزل عمر بن الخطاب زيادا عن عمل كان يتولاه له قال له زياد يا أمير المؤمنين أمن عجز أو خيانة فقال لا من أحدهما ولكنى كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول لو كان للناس كلهم عقول لخربت الدنيا وقال آخر لولا الحمق لبطل العالم وقال بعضهم لو كان الناس كلهم عقلاء ما أكلنا رطبا ولا شربنا عذبا يعنى أن العقلاء لا يقدمون على صعود النخيل لاجتناء الرطب ولا على حفر الآبار لاستنباط الماء البارد العذب وينشد لما رأيت الدهر دهر الجاهل * ولم أر المغبون غير العاقل

شربت خمرا من خمور بابل * فصرت من عقلى على مراحل

﴿ باب مدح العلوم ﴾

قد مدح أبو عثمان الجاحظ أنواع العلوم وذمها بأعيانها معربا عن قدرته على الكلام وبعد شأوه فى البلاغة وحين سئل عن الأثر فقال هو أخبار الماضين وأنباء الغابرين وقصص المرسلين وآداب الدنيا والدين ومعرفة الفرض والنافلة والشريعة والسنة والمصلحة والمفسدة والنار والجنة الى صاحبه تشد الرحال وحوله يعتكف الرجال ويسير به ذكره فى البلدان ويبقى اسمه على ممر الزمان (قيل فالفقه) قال فيه علم الحلال والحرام وبه تعرف شرائع الاسلام وتقام الحدود والاحكام وهو عصمة فى الدنيا وزينة فى الاخرى يخطب لصاحبه فضل الاعمال ويخلع عليه ثوب الجمال ويلبسه الغنى ويبلغه مرتبة القضا (قيل فالكلام) قال عيار كل صناعة وزمام كل عبارة وقسطاس يعرف به الفضل والرجحان وميزان يعلم به الزيادة والنقصان ومحك يتميز به الخاص والعام والخالص

والمشوب ويعرف به الابريز والستوق وينظر به الصفو والكدر وسلم يرقى به الى معرفة الصغير والكبير ويوصل به الى الحقير والخطير وأدلة للتفصيل والتحصيل وادراك الدقيق والجليل وآلة لاظهار الغامض المشتبه وأداة لكشف الخفي الملتبس وبه تعرف ربوبية الرب وحجة الرسل ويحترز به من شبهات المقالات وفساد التاويلات وبه تندفع مضلات الاهواء والنحل وتبطل تاويلات الاديان والملل وينزه عن غباوة التقاليد وغمة الترديد (قيل فالفلسفة) قال أداة الضمائر وآلة الخواطر ونتائج العقل وأدلة لمعرفة الاجناس والعناصر وعلم الاعراض والجواهر وعلل الاشخاص والصور واختلاف الاخلاق والطبائع والسجايا والغرائز (قيل فالنجوم) قال معرفة الأهلة ومقادير الاظلة وسموت البلدان وأقدام الزوال في كل وقت وزمان وعلم ساعات الليل والنهار في الزيادة والنقصان وأمارات الغيوث والامطار وأوقات سلامة الزرع والثمار (قيل فالطب) قال سائس الابدان والمنبه على طبائع الحيوان وبه يكون حفظ الصحة ومرمة العلة والوقوف على المنافع والمضار والابانة عن خبايا الاسرار وعلم يضطر اليه الخاص والعام ويفتقر اليه الناس والانعام ولا يستغني عنه الصغير والكبير ويحتاج اليه الحقير والخطير (قيل فالنحو) قال يبسط من العي اللسان ويجري من الحصر البيان وبه يسلم من هجنة اللحن وتحريف القول وهو آلة الصواب المنطق وتسديد كلام العرب (قيل فالحساب) قال علم طبيعي لاخلاف عليه واضطراري لامطعن فيه ثابت الدلالة صائب المقالة واضح البرهان شديد البنيان سالم من المناقضة خال من المعارضة حاكم يقطع الخلاف مؤد الى الانصاف والانتصاف وبه حفظ الاعمال ونظام الاموال وقوام أمور الملوك والتجار وثبات قوانين البلاد والامصار (قيل فالعروض) قال ميزان الشعر وعيار النظم ورائض الطبع وسائس الفهم وبه يعرف الصحيح من المريض وذلك عليه مدار القريض (قيل فالتعبير) قال علم نبوي وسفير الهي واشارة سماوية وعبارة غيبية وبشير ونذير يخبر عن الاشياء الغائبة والحاضرة وينبئ عن أمور الدنيا والآخرة (قيل فالخط) قال لسان اليد ولهجة الضمير ووحي الفكر وناقل الخبر وحافظ الأثر وعمدة الدين والدنيا ولقاح اللفظ والمعنى (قال مؤلف

الكتاب) فهذا آخر ما حكى عن الجاحظ فى مدح العلوم * وهذا ما أحاضر به فى مدح العلم والعلماء (عن) النبي صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء ويقال العلم خير من المال لان العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والملوك حكام الناس والعلماء حكام على الملوك (وقال بعض العلماء) ليس شئ أعز من العلم وقال بعض العلماء انا لم نطلب العلم لنحيط به كله اذ لا سبيل الى ذلك ولكن لنستكثر من الصواب ونستقل من الخطأ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلوات الله وسلامه عليه لا خير فيمن لا يكون عالما أو متعلما * ومن فضائل العلوم أن شهادة أهلها مقرونة بشهادة الله تعالى جده وملائكته فى قوله عز اسمه شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم (وقال) على رضى الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب اليه ويقال العلماء فى الارض كالنجوم فى السماء لولا العلم لكان الناس كالبهائم وقال بعض الحكماء العلم حياة القلوب ومصباح الابصار وقال ابن المعتز فى فصوله علم الرجل ولده المخلد وقال أيضا الجاهل صغير وان كان شيخا والعالم كبير وان كان حدثا وقال أيضا مامات من أحيا علما (وقلت) فى الكتاب المبهج العلم أشرف ما وعيت والخير أفضل ما أوعيت وفيه العلماء أعلام الاسلام وأمان الاعيان قال الشاعر

العلم خير أداة أنت جامعها * تلقى الرجال به فى الحفل ان حفلوا

وآفة العلم أن ينسى وأفضله * ما وافق العلم ممن يكمل العمل

وقال أيضا اذا العلم لم تعمل به صار حجة * عليك ولم تعذر بما أنت جاهله

(ويقال) جالسوا عين قومكم يعظم حلمكم ويكثر علمكم وقال سلمان علم لا يقال ككنز لا ينفق ويقال باب من العلم جسيم اذا سئلت عن الذى لا تعلم فقلت لا أعلم

﴿ باب ذم العلوم ﴾

(سئل) الجاحظ عن العلوم فأجاب بخلاف ما تقدم ونقض ما هنالك أبرم (سئل عن الكلام) فقال متفاوت الاصول قليل المحصول همة مناظر مملق وآلة مهذار متشدق (قيل فالفقه) قال يعتقد بالآراء ويتقلد بالاهواء دقيقه لا يلحق وجليله لا ينفق وهو من علوم المدابير المحير فى التدابير (قيل فالحديث) قال همة ضعيف وآلة

مسن (قيل فالفلسفة) قال كلام مترجم وعلم مرجم بعيد مداه قليل جدواه مخوف على صاحبه سطوة الملوك وعداوة العامة (قيل فالنجوم) قال حدس وترجيم وخسف وتنجيم صوابه عسير وغلطه كثير حرفة مجدود وصناعة غير محدود (قيل فالطب) قال موضوع على التخمين والحدس وتعليل النفس لا يوصل منه الى الحقيقة ولا يحكم فيه بالوثيقة (قيل فالنحو) قال علم مخترع وقياس مبتدع ثقيل على الاسماع قليل الارتفاع والانتفاع علم معدم وصناعة معلم (قيل فالعروض) قال علم مولد وأدب مستبرد يشكل العقول ويستولد الغفول مستفعلن وفعول من غير فائدة ولا محصول (قيل فالحساب) قال مستعجم عسير ومستوخم كدر بعيد الادراك شديد الاشتباه والاشتباك (قيل فالتعبير) قال ظن وحسبان لا يثبت به دليل ولا برهان ولا يقوم عليه شاهد ولا تبيان علم مضعوف وصناعة مكفوف (قيل فالخط) قال قليل الرد يسير الرفد صناعة مورق وبضاعة مزوق * فهذا ما نقل عن الجاحظ فى مدح العلوم وذمها (وتقول) أهل بغداد فى أمثالهم جهل يعولنى خير من علم أعوله ومن أمثالهم كف بخت خير من كر علم (وفى ذلك قيل) وما أصنع بالعلم * اذا أعطيت بالجهل

((وقال ابن أبي البغل))

الصعو يصفو آمنا من جهله * حبس الهزار لانه مترنم

لو كنت أجهل ما علمت لسرنى * جهلى كما قد ساءنى ما أعلم

((وقال غيره))

المال يستر كل عيب فى الفتى * والمال يرفع كل نذل ساقط

فعليك بالاموال فاقصد جمعها * واضرب بكتب العلم عرض الحائط

((وكتب الى عمر بن شبة بعض أصدقائه))

أجفاه يا ابن شبه * بعد نصح ومحبه ولزوم للداوين وما يعطوك حبه

ليس يغنى عنك عند القوم سفيان وشعبه فالزم الجهل فان الجهل عند القوم رتبه

ودع العلم فان العلم فى ذا الدهر سبه

(وقال) بعض الشعراء للقاضى بن خلاد الرامهرمزى

قل لابن خلاد اذا جئته * مستندا فى المسجد الجامع

هذا زمان ليس يحظى به * حدثنا الاعمش عن نافع

﴿باب مدح الخط والقلم﴾

(يقال) القلم أحد اللسانين وقال اقليدس القلم صانع الكلام يفرغ ما يجمعه القلب ويصوغ ما يسكبه الالب وقال أيضا الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية (وقال أفلاطون) الخط عقال العقل (وقال) جعفر بن محمد رضى الله عنهما لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم وقال المأمون لله در القلم كيف يحوك وشى المملكة وقال ثمامة ما أثرته الاقلام لا تطمع فى دروسه الايام وقال ابن المعتز القلم مجهز لجيوش الكلام يخدم الارادة ولا يمل الاستزادة كأنه يقبل بساط سلطان أو يفتح باب بستان وقيل الاقلام مطايا الاوهام فامتطوها يطرد لكم الكلام ويسهل بجريها النظام (ويقال) عقول الرجال تحت أسنة أقلامها وعن بعض الفلاسفة أنه قال صورة الخط فى الابصار سواد وفى البصائر بياض (وقال مؤلف الكتاب) قد نوه الله باسم الكتابة وعظم من شأنها اذ أضافها الى نفسه جل ذكره وان لم تكن تلك الاضافة من النوع الذى يضاف الى خلقه ولا راجعة بوجه من الوجوه الى شبهه الا أنه دلنا بها على علو رتبتها وشرف منزلتها فقال عز من قائل وكتبنا له فى الالواح الآية وقال تعالى جده وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس وقال سبحانه كتب الله لاغلبن أنا ورسلى وجعل جل جلاله من ملائكته كتبة سفرة وهم ارفع الخلق درجة وقال عز ذكره وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى ورسلنا لديهم يكتبون وقال جل ذكره بأيدى سفرة كرام بررة ومعلوم أنه لولم تكتب أعمال العباد كانت محفوظة لا يتخللها خلل ولا يتداخلها نسيان ولا زلل لكنه علم عز اسمه أن نسخ الكتاب أبلغ فى التحذير وأوكد فى الانذار وأهيب فى الصدور وأراد تعريف عباده فضيلة الخط والكتابة وأقسم عز اسمه بالآلة التى تتهيأ بها الكتابة وهى القلم فقال ن والقلم وما يسطرون كما أقسم بالاشياء الجليلة الاقدار الكبيرة الاخطار فى نفوس عباده وعيون بلاده كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والارض * وذاكرت فى هذا أبا الفتح البستى فأنشدنى لنفسه

اذا افتخر الابطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب فخرا ورفعة * مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

(وفى رسالة) لمؤلف الكتاب أوردها فى كتاب النظم والنثر وحل عقد السحر المجلس الرفيع أولها فى طريق اللغز وآخرها فى مدح القلم * ما أصم سميع أخرس بليغ ضعيف قوى مهين عز يزدقيق الجسم جليل الفعل نحيل الشخص سمين الخطب حقير المنظر شهير الخبر صغير الجرم عظيم الجرم الخ (وقال ابن المعتز)

اذا أخذ القرطاس خلت يمينه * يفتح نورا أو ينظم جوهرا

وقال كشاجم

واذا نمقت بنانك خطا * معربا عن ملاحة وسداد

عجب الناس من بياض معان * تجتلى من سواد ذاك المداد

وقال البستى

ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمى هز عامله

وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

(باب ذم الخط والقلم)

(قال ابن المعتز)

وأجوف مشقوق كان سنانه * اذا استعجلته الكف منقار لاقط

وتاه به قوم فقلت رويدكم * فما كاتب بالكف الا كشارط

وقال أبو العلاء المعرى لو كان فى الخط فضيلة لما حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) بعض أولاد الامراء الخط صناعة ولا تحسن الصناعة بالملوك (وقال كشاجم)

سل بى عن الايام تعرف * انى ابن دهر ليس ينصف

وبلاغتى معسر وفة * سهل وأخطاها التكلف * وسطور خط مونق

كالروض والبرد المفوف * والخط ليس بنافع * مالم يكن فى خط مصحف

وقال بعض الحكماء ماذا لقينا من الكتاب فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فقد بلينا به وأخذنا بحفظ فرائضه واقامة سرائطه وأما فى الاخرة فانا نلقاه منشورا بسرائرنا وخفايا ضمائرنا وذكر الجاحظ عامة الكتاب فقال أخلاق حلوه وشمائل معسوله وثياب مغسوله وتظرف أهل الفهم ووقار أهل العلم فاذا صلوا بنا الامتحان والاختبار وعرضوا على محك الاعتبار كانوا كالزبد يذهب جفاء أو كنبات الربيع فى الصيف تحركه هيفاء الرياح لا يستندون الى وثيقة ولا يدينون بحقيقة أخفر الخلق لاماناتهم وأشراهم بالثمن البخس لعهودهم ودياناتهم فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون (وقال الشاعر)

واذا أخطأ الكتابة حظ * عدمت تاؤها فصارت كآبة

(ومن ملح ما قيل في ذم الكتبة لابن عروس)

تعس الزمان لقد أتى بعجاب * ومحا رسوم الظرف والآداب

فأتى بكتاب لو انطلقت يدي * فيهم رددتهم الى الكتاب

(وقوله أيضا)

وكاتب يقرأ القرآن في سند * من بعد حين وأما بعد في حين

لا يعرف الفرق في عمرو ولا عمر * جهلا ولا الفرق بين السين والشين

(ولبعض أهل العصر)

وكاتب كتبه تذكرني القرآن حتى أظل في عجب

فاللفظ قالوا قلوبنا غلف * والخط تبت يدا أبي لهب

وقيل فلان قد صدأ فهمه وتبلد طبعه وتكدر خاطره ويقال خط ممجمج ولفظ ملجلج

(باب مدح الادب)

(قال بزرجمهر) ليت شعري أي شئ أدرك من فاته الادب وأي شئ فات من أدرك الادب وقال ابن عائشة القرشي أهل الادب هم الاكثرون وان قلوا ومحل الانس أين حلوا (وقال) خالد بن صفوان لابنه يابني الادب بهاء الملوك ورياش السوقة والناس بين هاتين فتعلمه تجده حيث تحب وقيل الادب وسيلة الى كل فضيلة وذريعة الى كل شريعة (وقلت في الكتاب المبهج) حلية الادب لا تخفى وحرمته لا تجفى

وقال البريدي ليس الفتى كل الفتى * الا الفتى في أدبه

وبعض أخلاق الفتى * أولى به من نسبه

وقال بعض الظاهرية لو علم الجاهلون ما الادب لايقنوا انه هو الطرب وقال حكيم لابنه يابني عز السلطان يوم لك ويوم عليك وعز المال وشيك ذهابه جدير انقطاعه وانقلابه وعز الحسب الى خمول ودثور وذبول وعز الادب راتب واصب لا يزول بزوال المال ولا يتحول بتحول السلطان ويقال من قعد به حسبه نهض به أدبه وقال ابن المعتز لست تعدم من الاديب كرما من طبعه أو تكرما من آدبه وقال أيضا الادب صورة العقل فحسن عقلك كيف شئت

(باب ذم الادب)

(كان) يقال اذا كثر أدب الرجل قل خيره ومن قل خيره كثر ضيره وقال الحمدونى
ويروى للخليل بن أحمد البصرى

ما ازددت فى أدبى حرفا أسر به * الا تزايدت حرفا تحته شوم
ان المقدم فى حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

((وقال أبو الحسن الممشادى))

اذا سرك أن تحظى * وان تلبس فوهيا من الخز أوالوشى * عاليا وسويا
وان تصبح ذا عز * فكن عالجانبيطيا وان سرك حرمان * به تصبح مقليا
فكن ذا أدب جزل * وكن مع ذاك نحويا

وقال آخر اذا هممت بشأو قلت انى قد * أدركته أدركتنى حرفة الادب
لا تغبطن أديبا ماله نشب * لا خير فى أدب الامع النشب

وقال بعضهم حرفة الادب حرقة * ويقال للادب حرقة لا يخلو منها أديب (وفى هذا الباب من غير هذا الكتاب القابوس)

ولى همة فوق السماك محلها * ولكن لحظى فى الحضيض نصيب
رأى الفلك الدوار سعيى فقال لى * أتسألنى حظا وأنت أديب *

((باب مدح الشعر والشعراء))

(كان) يقال الشعر ديوان العرب ومعدن حكمتها وكنز أدبها ويقال الشعر لسان الزمان والشعراء للكلام أمراء وقال بعض السلف الشعر أدنى مروءة السرى وأسرى مروءة الدنى وقال آخر الشعر جزل من كلام العرب تقام به المجالس وتستنجح به الحوائج وتشفى به السخائم ويقال المدح مهزة الكرام واعطاء الشاعر من بر الوالدين وقال بعضهم أنصف الشعراء فان ظلامتهم تبقى وعقابهم لا يفنى وهم الحاكمون على الحكام وقال آخر الشعر الجيد هو السحر الحلال والعذب الزلال وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا وعنه عليه الصلاة والسلام أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد * ألا كل شىء ما خلا الله باطل * وقال له النبى عليه الصلاة والسلام صدقت ثم قال * وكل نعيم لا محالة زائل * قال النبى عليه الصلاة والسلام كذبت نعيم الجنة لا يزول وقال بعضهم رب بيت شعر خير من بيت تبر وكان عمر رضى الله عنه لا يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر وكان يقال النثر يتطاير تطاير

الشرر والشعر يبقى بقاء النقش فى الحجر (وقال آخر) الشعر صوب العقول وكلام الفحول وقيل لحمزة بن بيص من أشعر الناس قال من اذا قال أسرع واذا وصف أبدع واذا مدح رفع واذا هجا وضع (وقال دعبل) فى كتابه الموضوع فى مدح الشعراء انه لا يكذب أحد الا اجترأ عليه الناس فقالوا كذاب الا الشاعر فانه يكذب ويستحسن كذبه ويحتمل ذلك له ولا يكون عيبا عليه ثم لا يلبث أن يقال أحسنت وفيه أن الرجل الملك أو السوقة اذا صير ابنه فى الكتاب أمر معلمه أن يعلمه القرآن والشعر فيقرنه بالقرآن ليس لان الشعر كهو ولا كرامة للشعر لكنه من أفضل الآداب فيأمره بتعليمه اياه لانه توصل به المجالس وتضرب فيه الامثال وتعرف به محاسن الاخلاق ومشاينها فتذم وتحمد وتهجى وتمدح وأى شرف أبقى من شرف يبقى بالشعر * وفيه ان امرأ القيس كان من أبناء الملوك وكان من أهل بيته وبنى أبيه أكثر من ثلاثين ملكا فبادوا وبادذكرهم وبقى ذكره الى القيامة وانما أمسك ذكره شعره (وقال) مؤلف الكتاب وأحسن ما مدح به الشعر قول أبى تمام حيث يقول ولولا خلال سنها الشعر مادرى * بناة المعالى كيف تبنى المكارم

(وأحسن منه)

أرى الشعر يحيى الجود والباس بالذى * تبقيه أرواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر الامعاهد * وما الناس الا أعظم نخرات

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرتجز وينشد بيت طرفة ولا يقيم وزنه

(فصل لابى بكر الخوارزمى جامع فى مدح الشعراء) ماظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم والكذب مذموم ومردود الا فيهم اذا ذموا ثلموا واذا مدحوا اسابوا واذا رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا أقروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم بالعقوبة يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يستحقر وشيخهم يوقر وشابهم لا يستصغر سهامهم تنفذ فى الاعراض وشهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد بها عدل وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار وبلغت ألف قنطار ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم وان صادروا الصديق لم يستوحش منهم بل ماظنك بقوم هم صيارفة اخلاق الرجال وسماسرة النقص والكمال بل ماظنك بقوم اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العدل بل ماظنك بقوم هم

أمراء الكلام يقصرون طويله ويطولون قصيره يقصرون ممدوده ويخففون ثقيله ولم لا أقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون وفى كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون

﴿ باب ذم الشعر والشعراء ﴾

(كان) يقال الشعر رقية الشيطان ولذلك قال جرير وهو يمدح عمر بن عبد العزيز ويصف ترفعه عن استماع الشعر

رأيت رقى الشيطان لا يستفزه * وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(وقيل) ليحيى بن خالد لم لا تقول الشعر فقال شيطانه أخبث من أن أسلطه على عقلى وقال غيره لا خير فى شئ أحسنه أكذبه (وكان) أبو مسلم يقول اياكم والشعراء فانهم يهجون جليسهم ويطلبون على الكذب مثوبة وجعلا وقال غيره لا تجالس الشاعر فانه اذا غضب عليك هجاك واذا رضى عنك كذب عليك وقد وصفهم الله تعالى ومتبعيهم من ر واتهم بالصفة الخاصة بهم فقال والشعراء يتبعهم الغاوون الآية وقرنهم بشر صنف من منتحل الاباطيل وهم الكهنة فقال وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ومن أحسن وأصدق ما ذم به الشاعر قول عبد الصمد بن المعذل لابى تمام وقد قصد البصرة وشارفها

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س وكلتاهما بوجه مذال
لست تنفك طالبا لوصال * من حبيب أو راغبا فى نوال
أى ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما بلغت الابيات أبا تمام قال صدق والله واحسن وثنى عنانه عن البصرة وحلف لا يدخلها ابدا وقال ابو سعيد المخزومى

الكلب والشاعر فى حالة * ياليتنى لم اكن شاعرا
اما تراه باسطا كفه * يستطعم الوارد والصادرا

ولبعضهم

انى ارى الشعراء أفنوا دهرهم * فى وصف كل حبيبة وحبيب
وسواءهم يحظى بما وصفوا له * فهمو كالقواد فى الترغيب
لكن ترى القواد يظفر بالعطا * وهمو بمقت الله والتكذيب

﴿ وقال أبو سعيد الرستمى الاصبهانى ﴾

تركت الشعر للشعراء انى * رأيت الشعر من سقط المتاع

(قيل) ان ظفر بن سعيد كان أديبا فاضلا لبيبا كتب على حاشية الكتاب هذين البيتين وأخذته غيرة الادب فقال كذب قائل هذا الشعر لقد وهم فيما شبه اذا كان الكتاب يلقى اليه لقائط الموائد وهذا يختص بأنواع الفرائد وذاك يطعم رحمة وهذا يعطى خشية وله من الفضائل ما يقرع طباع اللئيم ويهز عطف الكريم ويستدل بصناعته على جواهر المعانى ولو قال هذين البيتين لاصاب وأنصف

يمدح أقواما يرجى الغنا * وانما يحرك فى نحسه *

يكذب فى المدح ويعطونه * ويعادو يقضى الدين من جنسه

(باب مدح الكتب والدفاتر)

قال الجاحظ الكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا واناء شحن مزاحا وجدا ان شئت كان أعيا من باقل وان شئت كان أبلغ من سحبان وائل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت عجبت من غرائبه وان شئت ألهتك مضاحكه وان شئت أشجتك مواعظه فالكتاب نعم الظهر والعمدة ونعم الكنز والعدة ونعم الذخر والعقدة ونعم النزهة والعشرة ونعم الشغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل وهو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى لا يغريك والرفيق الذى لا يملك والمستميح الذى لا يستزيدك والجار الذى لا يستبطيك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك وهو الذى يطيعك بالليل طاعته بالنهار ويفيدك فى السفر افادته فى الحضر لا يعتل بنوم ولا ضجر ولا يعتريه كلال سهر وهو المعلم الذى اذا افتقرت اليه لم يحتقرك واذا قطعت عنه المادة والمائدة لم يقطع عنك العادة والعائدة وان هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك وان قل مالك لم يترك زيارتك (ثم قال) متى رأيت بستانا يحمل فى ردن وروضة تقلب فى حجر ينطق عن الاموات ويترجم كلام الاحياء ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك فاسق وبساكت ناطق وبحار بارد وبطبيب أعرابى وبرومى هندى وبفارسى يونانى وبقديم مولد وبميت ممتع (ثم قال) ولولا ما رسمت لنا الاوائل فى كتبها وخلدت فى عجائب حكمتها ودونت من محاسن سيرها وفننت من بدائع أثرها حتى شاهدنا ما غاب عنا وفتحنا كل مستغلق علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم ندركه الا بهم (ثم قال) ولولا الكتب المدونة والاخبار المفننة لبطل

أ كثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الفهم (وقال مؤلف الكتاب) حدثني صديق لي قال قرأت على شيخ كتابا فيه ما ثم غطفان فقال ذهبت المكارم الا من الدفاتر قال وسمعت الحسن اللؤلؤي يقول عبرت أربعين عاما ماقلت ولا بت الا والكتاب موضوع على صدري (وقال المؤلف) وكثيرا ما أذكرني آكل الوحية وأنما أنظر في كتاب جديد وقع الي ولا أصبر عنه الى وقت فراغي من الاكل وسمعت أبا نصر سهل بن المذمال يقول كثيرا ما أفعل مثل ذلك وكان يقول انفاق الفضة على كتب الآداب يخلف عليك ذهب الالباب (وقال) الحسن بن طباطبا العلوي في بعض الكتب الكتب حصون العقلاء اليها يلجؤن وبساتينهم بها يتنزهون وقال

اجعل جليسك دفترا في نشره * للميت من حكم العلوم نشور
وكتاب علم للاديب مؤانس * ومؤدب ومبشر ونذير
ومفيد آداب ومؤنس وحشة * واذا انفردت فصاحب وسمير
(وللمتنبي) أعز مكان في الدنا سرج سابح * وخير جليس في الزمان كتاب

((باب ذم الكتب والدفاتر))

(يقال) الكتاب علم لا يعبر معك الوادي ولا يعمر بك النادي وقيل في معناه

اني لا كره علما لا يكون معي * اذا خلوت به في جوف حمام

وقيل من تأدب من الكتاب صحف الكلام ومن تطبب منه قتل الانام ومن تنجم منه أخطأ في الايام ومن تفقه منه غير الاحكام (قال الشاعر)

ليست علومك ما حوته دفاتر * لكن علومك ما حوته صدور

((ولمؤدب لي كان في صباي أنشدني))

صاحب الكتب تراه أبدا * غير ذي فهم ولكن ذا غلط
كلما فتشته عن علمه * قال علمي يا خليلي في سفط
في كراريس جياد أحكمت * وبخط أي خط أي خط
فاذا قلت له هات اذن * حك لحييه جميعا وامتخط

((وأنشد الجاحظ لمحمد بن بشير))

اذا لم أعي كل ما أسمع * وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعت * لقيل هو العالم المصقع

ولكن نفسي الى كل شئ * من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت * ولا أنا من جمعه أشبع
ومن يك في علمه هكذا * يكن دهره القهقرى يرجع
اذا لم تكن حافظا واعيا * فجمعك للكتب لا ينفع

ثم كان قائله الله شديد الصبابة بالعلم كثير الصيانة له (وأنشد) يونس النحوي

استودع العلم قرطاسا فضيعه * وبئس مستودع العلم القراطيس

(وللاستاذ) الطبري رسالة في آفات الكتب نظمها بعض تلامذته فقال

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب * فان للكتب آفات تفرقها
الماء يغرقها والنار تحرقها * واللص يسرقها والفار يخرقها

﴿ باب مدح التجارة ﴾

قد ذكر الله تعالى التجارة في القرآن حيث قال يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم وقال عز اسمه وأحل الله البيع وحرم الربا وقال جل ذكره وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال النبي عليه الصلاة والسلام أطيب ما يأكل الرجل من كسبه والكسب في القرآن التجارة وقال عليه الصلاة والسلام التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وقال عليه الصلاة والسلام تسعة أعشار الرزق في التجارة وكان صلى الله عليه وسلم برهة من الدهر تاجرا وشخص مسافرا وباع واشترى حاضرا ولاشتهار أمره في ذلك قال المشركون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فأوحى الله تعالى اليه وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق فأخبر جل اسمه أن الانبياء قبله قد كانت لهم تجارات وصناعات (وكان) عمر رضي الله تعالى عنه يقول ما ميتة بعد القتل في سبيل الله أحب الى من أن أموت بين شعبتي رحلي أضرب في أرض الله وأبتغي من فضل الله وكان بعض السلف يقول الاسواق موائد الله في أرضه فمن أتاها أصاب منها (وعن) مجاهد في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم يعني التجارة في الاسواق وقيل التجارة امارة والارباح توفيقات

﴿ باب ذم التجارة ﴾

(في) الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم لو شئت حلفت لكم أن التاجر فاجر وقال عليه

السلام ما أوحى الى أن أجمع وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى ان أسبح بحمد ربي وأكون من الساجدين وكان الضحاك يقول ما من تاجر ايس بفقيه الا أكل من الرباشيأ وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول ويل للتاجر من لا والله وبلى والله وكان على رضى الله عنه يقول تفقه ثم اتجر فان التاجر فاجر الا من أخذ الحق وأعطاه وروى أن ابليس لما استنظر فانظر قال الهى أين بيتى قال الحمام قال ما مصائدى قال النساء قال أين مجلسى قال السوق وكان أبو الدرداء يقول اياكم ومجالس الاسواق فانها تلغى وتلهى (وقال الحسن) الاسواق مصلحة للاموال مفسدة للدين وقيل اياكم وجيران الاغنياء وقراء الاسواق وفقهاء الرساتيق وقيل ويلهم ما أغفلهم عما أعد لهم قال الشاعر اذا ما غضب السوق فالحبة ترضيه

(وقال آخر) ما التجار والسخاء وانما * نبتت لحومهم على القيراط

وقال ابن الرومى رب اطلق يدى فى كل شيخ * ذى رياء بسمته وسكونه

تاجر فاجر جموع منوع * يرهق الناس باقتضاء ديونه

وقال كاوا مل التجار وسوفوهم الى وقت فانهم اشام وليس عليكم فى ذلك اثم فان جميع ما جمعوا حرام وقال عكرمة أشهد على كل وزان وكيال بالنار وفى الخبر اياكم والاسواق فان الشيطان قد باض فيها وفرخ وقال بعض الاشراف لصديق له لا تسلم ابنك فى شئ من أنواع الكسب فانها تورث لا محالة لؤم الطبع وظلمة القلب وقصور الهمة وعى اللسان وسوء الادب ولبعضهم

قد ترى يا ابن أبي اسحق فى ودك عقده وكذا السوق للاخوان سوق المودة

﴿باب مدح الضياع﴾

(حدث) هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال التمسوا الرزق فى خبايا الارض وكان عروة يقول ازرع أما لك أرض أما سمعت قول القائل أقول لعبد الله لما لقيته * يسير باعلى الرقمتين مشرقا

تتبع خبايا الارض وادع مليكها * لعلك يوما أن تجاب وترزقا

وقال بعض السلف من أراد أن يتوسع فى الرزق فليقتن مع تجارته ضيعة ألا ترى أن الله تعالى قد قرن بينهما فى كتابه فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض وقيل لسفيان بن عيينة ما بال الرجل يبيع الضيعة فلا

يبارك له فى ثمنها فقال اما سمعتم قوله تعالى فى وصف الارض وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فكيف يبارك فى ثمن يزيل عن ملكه شيأ قد بارك الله فيه (وفى الخبر) من باع عقارا ولم يصرف ثمنه فى مثله كان كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف وقال اسمعيل ابن صبيح لصديق له اتخذ لك ضيعة تعينك اذا جاءتك الاخوان (وقيل)

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا * ندمت على التفريط فى زمن البذر

وفى الكتاب المبهج فلاح المعيشة فى الفلاحة ولا ضيعة على من له ضيعة (وفيه) قص جناح المال الطيار باعتقال العقار (وفيه) ليس بحازم من باع العقار وابتاع العقار وشرى الماء واشترى الاماء (وعن) أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال ان قامت القيامة وفى يدك فسيلة فاغرسها وروى الجاحظ باسناده عن عبد الله بن سلام لا تدع غرس يدك ولو سمعت أن الدجال خرج وقيل لعثمان بن عفان رضى الله عنه أتغرس بعد الكبر فقال لان توافينى الساعة وأنا من المصلحين خير من أن توافينى وأنا من المفسدين وقيل لابى الدرداء وهو يغرس جوزة أتغرس بعد الكبر وأنت شيخ وهى لا تطعم الا بعد عشرين سنة أو ثلاثين فقال وما على أن يكون الاجر لى والهناء لغيرى (ويقال) مر كسرى بشيخ كبير يغرس فسيلة فقال أترى أن تأكل من ثمرها فقال لا ولكنى وجدت أرض الله عامرة فأحببت أن لا تخرب على يدى (ويقال) ان شيخا كان يغرس شجر النارجيل وهى لا تثمر الا بعد أربعين سنة فمر به كسرى وقال له أتعيش الى أن تأكل منها فقال الشيخ غرسوا وأكلنا ونغرس فيأكلون فقال كسرى زه زه وأمر له باربعة آلاف درهم وكان من عادته ذلك لمن يقول له زه فقال الشيخ أيها الملك ان غرس السابقين أثمر بعد أربعين سنة وغرسنا أثمر فى يومه فقال كسرى زه وأمر له باربعة آلاف مثلها (وسئل واحد) أى المال أفضل فقال عين خرارة فى أرض خوارة قيل ثم ماذا قال الراسخات فى الوحل المطعمات فى المحل الملقحات بالفحل يريد بها النخل وقال الشاعر

استغن أومت ولا يغررك ذو نسب * من ابن عم ولا عم ولا خال
انى مكب على الزور أعمرها * ان الحبيب الى الاخوان ذو حال
كل النداء اذا ناديت يخذلنى * الا ندائى اذا ناديت يامالى

(وقالت فى المبهج) اذا ما نقل الدهقا * ن غلات الرساتيق

فكم من نعمة بيضاء * فى سود الجواليق

(وقلت أيضا) يارب أنت وهبتها لى نعمة * أضحت تعين على الزمان ببرها
ووهبت منها نعمة لا تلهنى * يارب أنت بسكرها عن شكرها

(باب ذم الضياع)

(قلت فى المبهج) الضيعة ضائعة مالم تدبرها بقوة ساعد وجد مساعد وفيه الضياع مدارج الغموم وكتب وكانها سفاتج الهموم (وقلت) فى رقعه الى وكيل أجيبته بها

يارقعة طويت على حيات * وعقارب كدرن ماء حياتى
ما أنت الامن تباريح الجوى * وسفاتج الاحزان والحسرات
وكأن أحرفك الكريهة أعين * لرواقب أوألسن لوشاة
أو كالضياع رقاع قيمتها اذا * وافت أتت بحوادث الآفات

(وقلت أيضا) قد قلت قولا سديدا * يروى العطاش بمائه
ان الخراج خراج * دواؤه فى أدائه

هو منظوم من قول الصاحب حيث قال الخراج خراج دواؤه فى أدائه وذكرت الضياع وجلالتها ونوائبها بحضرة أبى العباس احمد بن محمد بن الفرات فأنشدنى

هى المال الا أن فيها مذلة * فمن شاء قاساها ومن مل باعها

وقال أبو زكريا يحيى بن اسمعيل الحربى لابن محمد السلمى

قد كانت الضيعة فيما مضى * تعد من يملكها ذا هبه
فصار من يملكها يومنا * مهجته فى حفظها ذاهبه
يستغرق الغلة فى خرجها * وتفضل الكلفة والنائبه
فان يقم صاحبها كل ذا * ينجو والا نتفوا شاربه

(باب مدح الدور والابنية)

كان يقال جنة الرجل داره وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر يابنى دارك قميصك فوسعه كيف شئت وذكر الاحنف الدور فقال لتكن أول ما يشترى وآخر ما يباع وقيل لبعض الناس ما السرور فقال دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مرتبط بالفناء (وينشد) ومن المروأة للفتى * ما عاش دار فاخره

فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره

وكان يقال دار الرجل عشه وفيها طيب عيشه وقال السلمى فى كتابه نتف الظرف الدور للناس كالعش للطير والاوجرة للوحش والجحرة للحشرات ودار الرجل ماوى نفسه وموضع أمنه ومسكن قلبه ومجمع أهله ومحرز ماله ومأنس ضيفه وملتقى صديقه وعدوه فلاشئ أصعب على الناس من خروجهم من ديارهم وقد قرن الله تعالى الخروج منها بالقتل حيث قال ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه الا قليل منهم (وقال) المتوكل لابى العيناء كيف ترى دارنا هذه فقال يا أمير المؤمنين رأيت الناس يبنون الدور فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك وقال بعض الاشراف لابنه يابنى حسن أثرك فى هذه الدنيا بالبناء الحسن واسمع قول الشاعر

ليس الفتى بالذى لايستضاء به * ولا يكون له فى الارض آثار

ولا تنس قول الآخر

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

(ومن أحسن ما قيل فى بناء الملوك قول على بن الجهم)

ومازلت أسمع ان الملو * ك تبنى على قدر أخطارها

فلما رأيت بناء الاما * م رأيت الخلافة فى دارها

وكان جعفر بن سليمان الهاشمى يقول العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة ودارى عين المربد * ومن أحسن ما سمع فى التهنئة بالدور قول أبى القاسم الزعفرانى فى الصاحب

سرك الله بالبناء الجديد * نلت مال الشكور للمزيد

هذه الدار جنة الخلد فى الدنيا فصلها واخصصها بالخلود

ولمؤلف الكتاب فى الاخشيد بجرجانية

وقصر ملك ترى كل الجمال به * وأسعد الدهر تبدو من جوانبه

كأنه جنة الفردوس قد نزلت * الى خوارزم تعجيلا لصاحبه

(باب ذم الدور والابنية)

فارق النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة وكان عليه السلام يقول اذا أراد الله بعبد سوأ جعل ماله فى الطين والماء وعنه أيضا عليه السلام أنه قال اذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله فى اللبن والطين وقال وهب بن منبه فى الحديث

القدسي قال الله عز وجل من استغنى بأموال الفقراء أفقرته ومن تجبر على الضعفاء أذللته ومن بنى بقوة الفقراء أعقبت بناءه الخراب (وقال وهب بن الوردي) كان نوح عليه السلام اتخذ بيتا من خص فقيل له لو بنيت بناء فقال هذا لمن يموت كثير وقال ابن مسعود يأتي بعدكم أقوام يرفعون الطين ويضعون الدين ويمتطون البراذين ويصلون الى قبلتكم ويموتون على غير ملتكم وقيل ليزيد بن المهلب لم لاتبني دارا بالبصرة فقال لاني لا أدخلها الا أميرا أو أسيرا فان كنت أميرا فدار الامارة داري وان كنت أسيرا فالسجن مسكني وقراري (وكان يقال) البناء من يوم ابتدائه في نقصان والغرس من يوم ابتدائه في زيادة * ومر بعض الخوارج على دار تبنى فقال من هذا الذي يقيم كفيلا (وقيل) الدار الضيقة العمى الاصغر * ومن أحسن ما قيل في التبرم بالعمارة قول بعضهم

الامن لنفس وأحزانها * ودار تداعت بحيطانها
أظل نهاري في شمسها * شقيا بالقاء بنيانها
اسود وجهي بتبييضها * وأهدم كيسي بعمرانها

(باب مدح الحمام)

قال بعض السلف نعم البيت بيت الحمام ينقي الاقذار ويذكر النار وذكر الحمام عند الفضل الرقاشي فقال نعم البيت بيت الحمام يذهب القشافة ويعقب النظافة ويجشي التخمة ويطيب البشرة (وقال في المبهج) الحمام صيقل الاجسام ونظام النظافة ودافع آفة القشافة ولم يمدح الحمام كما مدحه السري حيث قال

بيت بنته حكماء الورى * فهو الى الحكمة منسوب
مجاور النار ولكنه * يجاور النار به الطيب
حرهو الروح لاجسامنا * والحر للاجسام تعذيب

(ولبعضهم) وقد دعا صديقا الى الحمام وأظنه للسري أيضا

أسعيد هل لك في زيارة منزل * تثني عليه جوارح الزوار
بيت ترى الجدران فيه منابعا * وترى السماء كثيرة الاقمار

(ولآخر يمدحه)

قم بنا قبل غرة الاصباح * وقيام السقاة بالاقداح

نمشي الى النعيم الذى فيه صلاح الاجسام والارواح
بيت طرف تحول عيناك فيه * بين بيض الطلا وبيض الفقاح
وتلاقى الجسوم فى خلع منه رقاق على الجسوم ملاح
فاذا ماصقلت جسمك فيه * باكف النعيم صقل الصفاح
تتروى من الصبوح وتقتض نسيم الرياح قبل الصباح

((وللمؤلف فى المبهج))

وحمام له حر الجحيم * ولكن شابه برد النعيم
رأيت به ثوابا فى عقاب * وزارت به نعيما فى جحيم

((ولابى طالب المأمونى رحمه الله))

أحق بيت من بيوت الورى * بصونه قدما وايثاره
بيت اذا مازاره زائر * وقد قضى أعظم أوطاره
وهو اذا ماجاء مستنظفا * مروءة الانسان فى داره
يدخله المولى بخز كما * يدخله العبد بأطماره

((وله)) وبيت كاحشاء المحب دخلته * ومالى ثياب فيه غيرا هابى
أرى محرما فيه وليس بكعبة * فاساغ الا فيه خلع ثياب
بماء كدمع الصب فى حر قلبه * اذا آذنت أحبابه بذهاب
توهمت فيه قطعة من جهنم * ولكنها من غير مس عقاب
يشبر ضبابا البخار محللا * بدور زجاج فى شموس قباب

((باب ذم الحمام))

قال بعض السلف بئس البيت الحمام يكشف عن العورة ويذهب بالحياء وفى الخبران الحمام من بيوت الشياطين (ولما) مدح الرقاشى الحمام بما تقدم قيل له ذمه فقال بئس البيت بيت الحمام يهتك الاستار ويذهب الوقار ويؤلف الى الاطياب الاقذار ومن أبلغ ماقيل فى ذمه قول ابن المعتز

حمامنا كالعجوز * يشقى به الوارد بيت له منتن * بيت له بارد

وقوله مانلت بالحمام حارولا * يصلح فيه غير تبريدما
وجدت بالصيف به رعدة * فكيف أرجو عرقا فى الشتا

(ولبعضهم) وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيه المجرمونا
فيصطرخ والية ولو أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

(وللصنوبرى) حمامنا ليس فيه ماء * وبرده ماله انقضاء *
ماينفع القطن فيه شيأ * ولا اللبابيد والفراء
ترعد فى الصيف فيه بردا * فصيف حمامنا شتاء
فلم نرده لدفع داء * هل يدفع الداء وهو داء

(باب مدح المال)

قد مدح الله المال وسماه خيرا بقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا أى مالا وبقوله وانه لحب الخير لشديد أى المال (ويروى) عن عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه أنه كان يقول حبذا المال أصون به عرضى وأقرضه ربى فيضاعفه لى يريد قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة (وروى) السدى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز اسمه ويزدكم قوة الى قوتكم أى مالا الى مالكم وكان رضى الله عنه يقول قد يشرف الوضيع بالمال (ويقال) المال تكسب أهله المحبة لا بجد الاعمال ولا جد الابفعال (وقيل) الآمال مشغولة بالاموال (وقال) الشاعر

كل النداء اذا ناديت يخذلنى * الا ندائى اذا ناديت يا مالى

ولابى العتاهية قد بلونا الناس فى أحوالهم * فرأيناهم بذى المال تبع

وقال آخر شيئان لا تحسن الدنيا بغيرهما * المال يصلح منه الحال والولد
زين الحياة هما لو كان غيرهما * كان الكتاب به من ربنا يرد

يعنى قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا (وكان) يقال أصل السودد والرياسة المال وبه تجتمع أسبابهما وتطرد أحوالهما وقد انقاد الناس حديثا وقديما للغنى ولذلك حكى الله تعالى فى أمر طالوت عن ملكه عليهم فقال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال (وقلت) فى المبهج لا موئل كالمال (وفيه) القلوب لا تستمال بمثل المال والعرض هو العرض (وفيه) مال الرجل موئله وقوته وقوته (وفيه) من أصلح ماله فقد حصل نقاء العرض وحصن بقاء العز

(باب ذم المال)

قال الله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة (ويقال) المال ملول والمال ميال والمال غاد ورائح وطبع المال كطبع الصبي لا يوقف على رضاه وسخطه (وقيل) المال لا ينفعك مالم يفارقك (وقيل) قد يكون مال المرء سبب حتفه كما ان الطاوس قد يذبح لحسن ريشه * ومن أحسن ماقيل في هذا المعنى قول ابن المعتز

ألم تر أن المال يهلك ربه * اذا جم آتيه وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير بجسمه * وسد طريق الماء فهو غريقه

(باب مدح الغنى)

(قلت في المبهج) لولم يكن في الغنى الا أنه من صفات الله لكفى به فضلا * ومن أبلغ ماقيل فيه أي في مدح الغنى وتفضيله على النسب قول ابن المعتز

اذا كنت ذا ثروة من غنى * فأنت المسود في العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر انك من آدم

(وينشد لابي الاسود الديلي في حارثة بن بدر)

وتاه تميم بالغنى ان للغنى * لسانا به رب المهانة ينطق

(وقال غيره) ألم تر أن الفقر يهجر بيته * وبيت الغنى يهدى له ويزار

(وقلت في المبهج) الغنى مجل والفقر مبذل مبتذل

(باب ذم الغنى)

(قال) الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وقال عز ذكره انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال تعالى واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقال بعض المفسرين في قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ما جددوا لله معصية الا جدد لهم نعمة ليستدرجهم بها (وقال) بعض الحكماء الغنى يورث البطر (ويقال) غنى النفس أفضل من غنى المال (وقاله) الشاعر

غنى النفس ماعمرت غنى * وفقر النفس ماعمرت شقاء

(وقال محمود بن الوراق)

لا تشعرن قلبك حب الغنى * ان من العصمة أن لا تجد
كم واجد أطلق وجدانه * عنانه في بعض مالم يرد
ومد من للخمر غادالى * سماع عود وغناء غرد

لولم يجد خمرا ولا مسمعا * برد بالماء غليل الكبد
وكم يد للفقر عند امرئ * طأطأ منه الفقر حتى اقتصد

(باب مدح الفقر)

كان يقال الفقر شعار الصالحين (ويقال) الفقر لباس الانبياء (وفيه) يقول البحترى فقر كفقر الانبياء وغربة * وصبابة ليس البلاء بواحد
وكان يقال الفقر يخف والغنى مثقل (ويقال) الفقر أخف ظهرا وأقل عددا (وكان) سفيان الثورى يقول الصبر على الفقر يعدل الجهاد فى سبيل الله تعالى

(ومن أحسن ما قيل فى مدح الفقر قول أبى العتاهية)

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وقال محمود الوراق ياعائب الفقر ألا تنزجر * عيب الغنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى لو صح منك النظر
أنك تدعو الله تبغى الغنى * ولست تدعو الله أن تفتقر

(باب ذم الفقر)

كان يقال الفقر يجمع العيوب (ويقال) الفقر كنز البلاء (ويقال) الفقر هو الموت الاحمر (وقال) النبى عليه السلام كاد الفقر أن يكون كفرا (وكان) سعيد ابن عبد العزيز يقول ماضرب العباد بسوط أوجع من الفقر (ومن) فصول ابن المعتز لا أدرى أيهما أمر موت الغنى أم حياة الفقير (وقلت فى المبهج) لا فاقرة كالفقر (وفيه) الفقر فى الاذن وقر وفى الكبد عقر وفى القلب نقر وفى الجوف بقر (وينشد) لبعضهم

اذا قل مال المرء قل حياؤه * وضاقت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدرى وان كان حازما * اقدامه خير له أم وراؤه

وقال صالح بن عبد القدوس

بلوت أمور الناس سبعين حجة * وجربت صرف الدهر فى العسر واليسر
فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى * ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

وقال أبو أحمد اليمامى غالبت كل شديدة فغلبتها * والفقر غالبنى فأصبح غالبى
ان أبده أفضح وان لم أبده * أقتل فقبح وجهه من صاحب

(باب مدح القناعة)

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة هي القناعة وقال بعض الحكماء لابنه يا بني العبد حر اذا قنع والحر عبد اذا طمع (وكان) يقال أنت العز بزما التحفت بالقناعة وقيل القانع بما قسم الله في حدائق النعيم (و يقال) انخفض انخفض رضا المرء حظه (وقال بعضهم) من لم يقنع بالقليل لم يكتف بالكثير ومن فصول ابن المعتز أعرف الناس بالله من رضي بما قسم له (وقال غيره) من قنع بماله استراح واراح (وقال أبو العتاهية)

ان كان لا يغنيك ما يكفيكا * فكل ما في الارض لا يغنيكا

وقال أيضا قنع النفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق ما يكفيها

(ولغيره) اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

ومن طلب العليا من العيش لم يزل * حقيرا وفي الدنيا أسيرا غبونها

(وقال غيره) اذا ما شئت أن تحيا * حياة حلوة المحيا

فلا تحسد ولا تحقد * ولا تأسف على الدنيا

(باب ذم القناعة)

(قال) بعض المهالبة من اتخذ القناعة صناعة تلحف بالخمول وفاتته معالى الامور (وقال) آخر القناعة من أخلاق العجائز والزمن العاجز (و يقال) البركات حيث الحركات (وقال) حكيم لابنه يا بني ان القناعة من صغر النفس وقصر الهمة وضعف الغريزة ولؤم الطبيعة فلا ترض لنفسك الاكل غاية (وقال) الرافعي من قصيدة له

رأت عزمتي وفرط انكماشي * وطول التململ فوق الفراش

فقالت أراك أخا همة * ستبلغها فترى ذا انتعاش

فهلا قنعت ولا تغترب * فقلت القناعة طبع المواشي

(وقال) رجل لمعروف الكرخي رحمه الله أأتحرك في طلب الرزق أم أجري في طريق القناعة فقال تحرك فان الله قال لمريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ولو شاء الله أن ينزله عليها من غير أن تسعى في هز النخلة فعل وقد نظم هذا المعنى من قال ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

(باب مدح القلة)

سمع سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول اللهم اجعلني من الاقلين فقال ماهذا الدعاء فقال سمعت الله يقول وقليل ماهم وقليل من عبادى الشكور وما آمن معه الاقليل (وقال) بعض العلماء ان الكثرة ليست بممدوحة فى كتاب الله عز وجل وانما الممدوح الاقلون لانا سمعنا الله يثنى على أهل القلة ويمدحهم ويذم أهل الكثرة ويوبخهم حيث يقول عز من قائل ثم توليتم الاقليلا منكم ويقول فشربوا منه الاقليلا منهم ويقول لاتبعتم الشيطان الاقليلا ويقول جل ذكره حكاية عن ابليس لاحتنكن ذريته الاقليلا ويقول جل جلاله فى ذم الكثرة ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا ويقول بل أكثرهم لايؤمنون ويقول ولكن أكثر الناس لايشكرون ويقول منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ويقول وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت ويقول وأكثرهم لايعقلون ولكن أكثرهم يجهلون ويقول ولكن أكثرهم للحق كارهون ويقول وماوجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين وقال الشاعر

تعيرنا أنا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وقالت الفلاسفة كل كثير عدو للطبيعة وقالت الاطباء الاقلال مما يضر خير من الاكثار مما ينفع (وقال اسحق الموصلى)

هل الى نظرة اليك سبيل * فيروى الظما ويشفى الغليل

ان ماقل منك يكثر عندى * وكثير من الحبيب القليل

(وقال) جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه لاتستحى من اعطاء القليل فكل فوائد الدنيا قليل والحرمات أقل منه (وقال) الشاعر

ليس العطا من الفضول سماحة * حتى تجود ومالديك قليل

(باب ذم القلة)

(كان) يقال الذلة فى القلة والشرف فى السرف (وكان) قيس بن سعد بن عبادة يقول اللهم انك تعلم أن القليل لايسعنى ولاأسعه فاكثرلى ووسع على (وقال) منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل

ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

(وقال) سرى الموصلى

قبلت على الرغم نيل البخيل * ووقت قليل أتى من قليل
تعجبت لما ابتدى بالجميل * وما كان يعرف فعل الجميل
وما كان اعطاؤه سوددا * ولكنه غلطة من بخيل

(ويقال) من قل ذل ومن برّ عز (وقال) النبى عليه السلام كونوا من السواد الاعظم

《 باب مدح اللسان 》

(كان) يقال ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو ضالة مهملة أو بهيمة مرسلة (وقال) بعض الحكماء المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان (وقال) الجاحظ اللسان أداة يظهر به البيان وشاهد يعبر عن الضمير وحاكم يفصل بين الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهى عن القبيح ومبشر ترد به الاحزان ومعتذر تذهب به الاضغان وملة يونق الاسماع وزارع يحرث المودة وحاصد يستأصل العداوة وشاكر يستوجب المزيد ومؤنس يسلى الوحشة (ويقال) المرء مخبوء تحت طى لسانه لا تحت طيلسانه (وقال) بعض العلماء البلغاء للسان فضائل معدومة فى الجوارح ودرجته عالية على درجاتها لما خصه الله به من النطق والبيان وأنطقه بالذكر والقرآن وأنشد

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم
فكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه فى التكلم

(ومن أحسن ما قيل فى اللسان والبراعة قول ابراهيم بن شاه فى أبى مسلم)

لسان محمد أمضى غرارا * وأنفذ من ظبا السيف الحسام
اذا ارتجل الكلام بدا خليج * بفيه يمده بحر الكلام
كلام بل مدام بل نظام * من الياقوت بل حب الغمام

وقال آخر

وما المرء الا الأصغريه لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور
فان نظرة راقتك فاحذر فربما * أمر مذاق العود والعود أخضر

(اعلم) ان كمال العالم هو الانسان وكمال الانسان هو اللسان وجماله هو البيان

(نظر) رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه العباس رضى الله عنه فتبسم فقال له م ضحكت يارسول الله فقال أعجبنى جمالك ياعم فقال أين موضع الجمال منى فاشار الى لسانه وقال أيضا عليه الصلاة والسلام جمال الرجل فصاحة لسانه

﴿ باب ذم اللسان ﴾

(كان) يقال مقتل الرجل بين فكيه وقال بعض البلغاء اللسان أجرح جوارح الانسان وقال آخر اللسان سبع صغير الجرم كبير الجرم (وكان) ابن مسعود رضى الله عنه يقول والذى لا اله الا هو ما على الارض شئ أحق بطول السجن من اللسان (قال) بعض العرب لرجل وهو يعظه فى حفظ اللسان اياك أن يضرب لسانك عنقك وقد قيل احذر لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان

كم فى المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الفرسان

﴿ وقال أبو محمد بن اليزيدى ﴾

حتف الفتى لسانه * فى جده ولعبه بين اللهات مسكنه * ركب فى مركبه

وقال آخر جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ماجرح اللسان

(وقال ابن المعتز) أيارب ألسنة كالسيوف * تقطع أعناق أصحابها

وكم قد دهى المرء من نفسه * فلا تؤكلن بأنيابها

﴿ ومن أبلغ ما قيل فى عى اللسان قول بعضهم ﴾

بين فكيه لسان * ينسب العى اليه فاذا حاول قولا * عسر القول لديه

وسواء هو فيه * أو حسام فى يديه

﴿ باب مدح الصمت ﴾

من حكم لقمان رحمة الله عليه الصمت حكمة وقليل فاعله (وكان) يقال الصمت أنفع للناس والسكوت أنفع لاطير لان الطير اذ نبش قبض وحبس (وقال) بعض السلف الندم على الصمت خير من الندم على القول * ومن فصول ابن المعتز من أخافه الكلام أجاره الصمت وقال أيضا الخطأ بالصمت يختم والخطل بعثله لا يكتم (وقال آخر)

الصمت يكسب أهله * صدق المودة والمحبه * والقول يستدعى لصا

حبه المذمة والمسبه * فاترك كلاما لاغيا * ولا يكن لك فيه رغبه

(وقيل) أربع كلمات صدرت عن أربعة ملوك كأنما رميت عن قوس واحدة * قال

كسرى لم أندم على مالم أقل وندمت على ماقلت مرارا وقال قيصر انى على رد مالم أقل أقدر منى على رد ماقلت * وقال ملك الصين اذا تكلمت بكلمة ملكتنى واذا لم أتكلم بها ملكتها * وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان رفعت ضرته وان لم ترفع ما نفعته ويقال من سكت فسلم كان كمن تكلم فغنم (ويقال) من علامات العاقل حسن سمته وطول صمته (وقال) بعض الحكماء أول العلم الصمت والثانى حسن الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل به والخامس نشره وقيل من حفظ لسانه نجا من الشر كله

(نظم) ولو يكون القول فى القياس * من فضة بيضاء عند الناس
اذا لكان الصمت من خير الذهب * فاسمع هداك الله تلخيص الادب

(وقال آخر) والصمت عند القبيح تسمعه * صاحب صدق لكل مصطحب
فآثر الصمت ما استطعت فقد * يؤثر قول الحكيم فى الكتب
لو كان بعض الكلام من ورق * لكان جل السكوت من ذهب

وقال آخر مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
انما العاقل من ألجم فاه بلجام *

(وفى كتاب عيون الآداب بيت)

كلام راعى الكلام قوت * قد أفلح الصامت السكوت

(وقال) ابن مسعود ما شئ أحق بطول السجن من اللسان (وقال) بعضهم اذا أعجبك الكلام فاصمت وقيل

احفظ لسانك ان اللسان * سريع الى المرء فى قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

(وقال آخر) ان كان يعجبك السكوت فانه * قد كان يعجب قبلك الاخيارا
ولئن ندمت على سكوت مرة * فلقد ندمت على الكلام مرارا
ان السكوت سلامة ولربما * زرع الكلام عداوة وضرارا

(باب ذم الصمت)

قال رجل بين يدى عمر رضى الله عنه الصمت مفتاح السلامة فقال نعم ولكنه قفل الفهم وكان يقال من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن (وقال) بعض الفلاسفة الصمت نتيجة الموت كما أن المنطق نتيجة الحياة (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم

تكلموا تعرفوا ولم يقل اسكتوا تعرفوا (وقال) الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام وعن الملك فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين ولم يقل فلما سكت عنده (وقال آخر) أخزى الله المساكنة فما أسوأ أثرها على اللسان وأجلبها للعي والحصر الى الانسان وقال بعض الحكماء انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر به عن شئ فهو أفضل ويقال اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرن

﴿ باب مدح الصبر ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤت الناس خيرا من الصبر والمعافاة (وقال) أيضا عليه السلام لم نزل نستزيد للصابرين حتى نزلت انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وقال) عليه السلام عليكم بالصبر فانه لا ايمان لمن لا صبر له (وقال) أيضا الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية شعر

تصبر ولا تبد التضعضع للعدا * ولو قطعت في الجسم منك البواتر
سرور الاعادي ان تراك بذلة * ولكنها تغتم اذ أنت صابر

ولبعضهم

بنى الله للاخيار بيتا سماؤه * هموم وأحزان وحيطانه الضر
وأدخلهم فيه وأغلق بابه * وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

وكان ينشد

انى وجدت وخير القول أصدقه * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في أمر يحاوله * فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وقال آخر

عليك بالصبر فيما قد منيت به * فالصبر يذهب ما في الصدر من حرج
كم ليلة من غموم الدهر مظلمة * قد ضاء من بعدها صبح من الفرج

وقال آخر

تصبر اذا ما آلمتك ملمة * وأهون بها ما لم تسمك بعار
فغب قطوب النحس بشر سعادة * وبعد ظلام الليل نور نهار

وفي بعض الاخبار الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقال آخر

اذا المرء لم يأخذ من الصبر حظه * تقطع من أسبابه كل مبرم

ويقال أوكد الاسباب للظفر الصبر (وقال) بعض العلماء الصبر جنة المؤمن وعزيمة المتوكل وسبب درك النجح في الحوائج ويقال من وطن نفسه على الصبر لم يجد للاذى مسا (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من استعف بالله عفه ومن استعان به أعانه ولن تجدوا حظا خيرا من الصبر (وقال الشاعر)

قرين الصبر يظفر بعد حين * بحاجته فيوجد قد قضاها

(وقال) المهلب يا بنى ان غلبتم على الظفر فلا تغلبوا على الصبر

(وقال آخر) من عقط الصبر يضع رحله * بساحة الراحة واليسر

(وقال محمود) الصبر أمضى سلاح ذى الادب * فاقمع به حد سورة الارب

(وقال) الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (وقال) عز اسمه وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (وقال) عز من قائل وبشر الصابرين الآية وكان الحسن البصرى يقول انى لاعجب ممن خف كيف خف بعد هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا (وقال) عمر بن عبد العزيز ما أنعم الله على عبد نعمة فنزعها عنه فصبر الا كان ما أعاضه أفضل مما انتزعه عنه ثم قرأ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وقال) بعض الحكماء الصبر صبران صبر عما تحب وصبر على ما تكره والرجل من جمع بينهما * وقالت فى المبهج الصبر أحجى بذى الحجج (وقال) حكيم تابع الصبر متبوع النصر (وقال الشاعر)

ما أحسن الصبر فى مواطنه * والصبر فى كل موطن حسن

(وقال ابن الجهم)

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجال التفضل

ويقال الصبر كاسمه وعاقبته العسل

(باب ذم الصبر)

الصبر كاسمه ويقال الصبر تجرع الغصة وانتظار الفرصة وأنشد

وانى لادرى أن فى الصبر راحة * ولكن انفاقى على الصبر من عمرى

يقولون لى صبرا لحمد غبه * فقلت لهم ليس الصبر من أمرى

وقال البرقعى من حمد الصبر وحالاته * فلست بالحامد للصبر

كم جرعة للصبر جرعتها * أمر فى الذوق من الصبر * صبرت حتى قيل لى جاهل لا يعرف الخير من الشر * انى اذا الدهر نبا نبوة * أصبر للدهر من الدهر

(وقال أبو القاسم بن علاء الاصفهانى)

فان قيل لى صبرا فلا صبر للذى * غدا بيد الايام تقتله صبرا

وان قيل لى عذرا فوالله ما أرى * لمن ملك الدنيا اذا لم يجد عذرا

﴿ باب مدح الحلم ﴾

كان يقال الحلم حجاب الآفات (وقال) حكيم حلم ساعة يرد سبعين آفة (وقال) بعض السلف الحلم أجل من العقل لان الله تعالى وصف نفسه به وقيل حسب الحليم ان الناس أنصاره على الجاهل ومن ملك غضبه احترز من عدوه (وقال) الحسن رحمة الله عليه ما بعث الله نبيا الى قوم الا بعثه وأمره بالحلم وكان الاحنف يقول ما أضيف شئ الى شئ أحسن من علم الى حلم (وكان) يقول من لم يصبر على كلمة واحدة سمع كلمات

(ومن أحسن ما قيل فى الحلم قول الشاعر)

لن يبلغ المجد أقوام وان كرموا * حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مشرقة * لا عفو ذل ولكن عفو احلام

﴿ باب ذم الحلم ﴾

كان يقال من عرف بالحلم كثرت الجراءة عليه (وقال) بعض السلف الحلم ذل كله (وقال) السفاح اذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة وقال الشاعر

أرى الحلم فى بعض المواطن ذلة * وفى بعضها عزا يسود فاعله

وقاتل الاحنف قتالا شديدا فى بعض المواطن فقيل له أين الحلم يا أبا بحر فقال عند الحياء وكان يقال آفة الحلم الضعف * ومن أحسن ما قيل فى هذا الباب قول النابغة الجعدى

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * أديب اذا ما أورد الامر أصدرا

(وقال محمد بن وهب)

لئن كنت محتاجا الى الحلم اننى * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج
ولى فرس للحلم بالحلم ملجم * ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمى فانى مقوّم * ومن رام تعويجى فانى معوج

﴿ وأحسن ما سمعت فى هذا الباب ما قيل ﴾

أتانى منك ما ليس * على مكر وهه صبر * فأغضيت على عمد
وقد يغضى الفتى الحر * وأدبتك بالهجر * فما أدبك الهجر
ولا ردك عما كا * ن منك الصفح والزجر * فلما اضطرنى المكرو
ه واشتد بى الامر * تناولتك من سرى * بما ليس له قدر

فحركت جناح الذل لماسك الضر * اذا لم يصلح الخير امرأ أصلحه الشر
قد شذ في الاصل منه بيت قال الشيخ الامام البيت الاخير من قول الحسن وهو أنه قيل له ان عند نار جلا اذا قيل له جزاك الله خيرا يغضب فقال من لا يصلحه الخير أصلحه الشر

(باب مدح المشورة)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المستشار بالخيار ان شاء قال وان شاء سكت (وقال) عليه الصلاة والسلام أيضا المستشار مؤتمن (وقال) الحسن البصري ان الله تعالى أمر نبيه عليه السلام بالمشورة لا من حاجة منه الى آرائهم وانما أراد عز اسمه أن يعلمنا ما في المشورة من الفضيلة حيث قال وشاورهم في الامر يعني ان الانسان لا يستغني عن مشورة نصيح له كما أن القوادم من ريش الجناح تستعين بالخوافي منه (قال بشار)

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن * بحزم نصيح أو نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافي تابع للقوادم

(قال الاصمعي) قلت لبشار رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المشورة فقال أو ما علمت أن المشاور بين احدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه فقلت له أنت والله في هذا الكلام أشعر منك في شعرك (وقال) الجاحظ المشورة لقاح العقول ورائد الصواب والمستشير على طرف النجاح واستنارة المرء برأى أخيه من عزم الامور وحزم التدبير وقد أمر الله تعالى أكمل الخلق لبا وأولاهم بالاصابة عزما فقال لرسوله الكريم عليه السلام في كتابه الكريم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله (وقال) حكيم اذا شاورت العاقل صار عقله لك * ويقال أول الحزم المشورة (وقال) العتبي المشورة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه (وقال) ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب لغيرك (وقال) أيضا من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا وقلت في المبهج ثمرة رأى الاديب المشير أحلى من رأى المشور (ولبعضهم) لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا الغضبان حتى يهجع ولا الاسير حتى يطلق ولا المضل حتى يجد ولا الراغب حتى ينجح (وقال) بعض الحكماء ما خاب من استشار ولا ندم من استخار (وقال) صالح بن عبد القدوس

ومن الرجال من استوت احلامهم * من يستشار اذا استشير فيطلق

حتى يجول بكل وادقابه * فيرى الصواب بها يشير فينطق
ان الاديب اذا تفكر لم يكد * يخفى عليه من الامور الاوفق
فهناك تشعب ما تفاقم صدعه * وبذاك ترتق كل أمر يفتق
واذا استشرت ذوى العقول بغيرهم * عند المشورة من يحن ويشفق

(وكان) يقال نصف عقلك مع أخيك فاستشره (وكان) يقال ما استنبط الصواب بمثل المشورة ولا حصنت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر (وكان) يقال لا يستقيم الملك بالشركاء ولا يستقيم الرأى بالتفرد به (وقيل) شاور قبل أن تقدم (وقال) عبد الملك بن مروان لان اخطئ وقد استشرت أحب الى من أن أصيب وقد استبددت برأيي من غير مشورة (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام لابنه لا تقطعن أمرا حتى تشاور مرشدا فانك اذا فعلت ذلك لم تحزن عليه (وقيل) للنبي عليه الصلاة والسلام ما الحزم قال أن تستشير ذا الرأى وتطيع أمره (وقال) عليه الصلاة والسلام لم يهلك امرؤ عن مشورة (وقيل) مكتوب فى التوراة من ملك استأثر ومن لم يستشر يندم والحاجة الموت الاكبر والهم نصف الهرم وقال الشاعر

نصحت لذى جهل وقلت لعله * بنصحى له من نومه يتنبه
فما نجعت فيه النصائح مضعا * وهل ابرئ الكهان من هو أكمه

(باب ذم المشورة)

كان عبد الملك بن صالح يقول ما استشرت أحدا قط الا تكبر على وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتنى الذلة فاياك والمشاورة وان ضاقت بك المذاهب واشتبهت عليك المسارب وادالك فرط الاستبداد الى الخطأ والفساد (وكان) عبد الله بن طاهر يقول ما حك ظهرى مثل ظفرى ولان أخطئ مع الاستبداد ألف خطأ أحب الى من أن أرى بعين النقص عند المستشار

《 باب مدح التانى 》

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية يعنى فتثبتوا وهو أبين وقال حكيم ينبغى للوالى أن يتثبت فيما أنهى اليه ولا يتعجل ويتأنى ويتمهل حتى ينظر ويستكشف الحال ويأخذ بأدب سليمان عليه السلام حيث قال سننظر

أصدقت أم كنت من الكاذبين وفى الخبر التأنى من الله والعجلة من الشيطان ويقال الاناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقيل التأنى مع الخيبة خير من العجلة مع النجاح (وقال) آخر التأنى فى الامور أول الحزم والتسرع اليها عين الجهل وقال النابغة

الرفق يمن والاناة سعادة * فتأن فى أمر تلاق نجاحا

وقال القطامى

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(ويقال) اتئد تصب أو تكد يعنى ارفق لتدرك الصواب أو تقرب أن تدركه (قال) النبي عليه الصلاة والسلام من تأنى أصاب أو كاد ومن تعجل أخطأ أو كاد

﴿ باب ذم التأنى ﴾

كان يقال اياكم والتأنى فى الامور فان الفرص تمر مر السحاب (وقال) ابن عائشة القرشى الفلك أجدر من أن يحتمل معه التأنى والتثبت وخير الخير أعجله ويقال الآفات فى التأخيرات (وقيل) لابى العيناء لا تعجل فان العجلة من الشيطان فقال لو كانت العجلة من الشيطان لما قال كليم الله عليه الصلاة والسلام وعجلت اليك رب لترضى (وقال) القطامى بعد قوله قد يدرك المتأنى البيت

وربما فات قوما بعض نجحهم * من التأنى وكان الحزم لو عجلوا

(وأحسن منه قول ابن الرومى)

عيب الاناة وان كانت مباركة * أن لا خلود وأن ليس الفتى الحجر

وقال ابن المعتز

وان فرصة أمكنت فى العدا * فلا تبد فعلك الا بها
فان لم تلج بابها مسرعا * أتاك عدوك من بابها
واياك من ندم بعدها * وتأميل أخرى وأنى بها

﴿ وقال محمد بن بشير ﴾

كم من مضيع فرصة قد أمكنت * لغد وليس غدله بموات
حتى اذا فاتت وفات طلابها * ذهبت عليها نفسه حسرات

﴿ باب مدح الوحدة والعزلة ﴾

كان يقال الوحدة خير من جليس السوء (ويقال) العزلة من الناس تقى العرض وتبقى الجلالة وتستر الفاقة وترفع مؤنة المكافأة فى الحقوق الواجبة (وقال) الشاعر

كن لقعر البيت حلسا * وارض بالوحدة أنسا

لست بالواجد خلا * أو ترد اليوم أمسا

(وأنشدني) ميمون بن سهل الواسطي قال انشدني القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني لنفسه

ما تطعمت لذة العيش حتى * صرت في وحدتي لكتبي جليسا
انما الذل في مداخلة الناس فدعها وكن كريما رئيسا
ليس عندي شيء أجل من العلم فلا أبتغي سواه أنيسا

(وقال) مكحول ان كان الفضل في الجماعة فان السلامة في الوحدة والعزلة * ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول منصور بن اسمعيل المصري

الناس بحر عميق * والبعد عنهم سفينه
وقد نصحتك فانظر * لنفسك المسكينه

(ولبعضهم) الناس داء دفين * لا تركنن اليهم
فيهم خداع ومكر * لو اطلعت عليهم

(وأنشدني) البستي لابي سليمان الخطابي

قد أولع الناس بالتلاقي * والمرء صب الى مناه
وانما منهم صديقي * من لا يراني ولا أراه

وله أيضا اذا خلوت صفا ذهني وعارضني * خواطر كطراز البرق في الظلم
فان توالى صياح الناعقين على * اذني عرتني منه حكلة العجم

(ومن) أحسن ما قيل في الانفراد قول أبي هيان

ان أمس منفردا فالليث منفرد * والبدر منفرد والسيف منفرد

وقلت في المبهج من لزم الخلوة ربه حصل في العيش الامتع والحي الامنع (وقال) أبو العتاهية وحدة الانسان خير * من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير * من جلوس المرء وحده

((باب ذم الوحدة))

قيل الوحدة وحشة والوحدة قبر الحي (وفي) الخبر الشيطان مع الواحد وهو عن الاثنين أبعد ويد الله مع الجماعة (ولحاتم الطائي وهو مما يتمثل به)

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم * عماة عن الاخبار خرق المكاسب

(ويقال) اياكم والعزلة فان فى لقاء الناس معتبرا نافعا ومتعظا واسعا ومجالسة الناس تجلو البصر وتطرد الفكر (ويقال) الانقباض من الناس مكسبة للعداوة (وقال) بعض الحكماء اياكم والخلوات فانها تفسد العقول وتحل المعقود وتعقد المحلول (وقال) آخر البيت رمس مالزمته والهم زمانة ما سلطته ولابى تمام فى معناه بعينه

وراكد الهم كالزمانة * والبيت اذا لزمته رمس

(باب مدح الشجاعة)

فى الخبر ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب (وكتب) أنوشروان الى وكلائه عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فانهم أهل حسن الظن بالله تعالى (وكان) يقال الشجاع موقى والجبان ملقى (ويقال) الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى أمه وقال بعض الحكماء قوة النفس أبلغ من قوة الجسد (وقال) الشاعر يفر الجبان من أبيه وأمه * ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه

(ولما قال أبو الطيب المتنبى)

يرى الجبناء ان العجز عقل * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وكل شجاعة فى المرء تغنى * ولا مثل الشجاعة فى الحكيم

قيل له أنى يكون الشجاع حكيما وهما على طرفى نقيض قال هذا على بن أبى طالب رضى الله عنه (وكان يقال) خيفة العاقبة تورث جبنا والشجاعة حسن الظن وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه يقول ماليلة أقر لعينى من ليلة يهدى الى فيها عروس الا ليلة أغدو فيها القتال العدو (وكان) حصين بن المنذر صاحب راية أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه يقول ابتذال الانفس فى الحرب أبقى لها اذا أخرفى الآجال (وقيل) لعباد بن الحصين فى أى جنة تحب أن تلقى عدوك قال فى أجل مستأخر (وكان يقال) ان بنى هاشم شجعان قريش وأسخياء قريش أجمع أهل الاسلام على انه لم يكن فارس فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع من على بن أبى طالب رضى الله عنه (وقيل) لا يصدق فى القتال الا ثلاثة مستنصر فى دين أو غيران على النساء أو ممتهن من ذل

(باب ذم الشجاعة)

قيل انه روى عن شيخ كبير وقد تأخر عن الصف فى الحرب واستعد للهرب فقيل له نراك غير شجاع فقال لو كنت شجاعا ما بلغت هذا السن (وقيل) ما فى الدنيا شجاع

الامتهور ولاجبان الامتحرز (وقال) بعض الجبنة من أراد السلامة فليدع الشجاعة وقال آخر يقال فر أخزاه الله خير من قتل رحمه الله هو كقولهم رهبوت خير من رحموت (ويقال) الفرار في وقته ظفر وقال محمد بن أبي حمزة العقيلي مولى الانصار

ظلت تشجعني هند وقد علمت * ان الشجاعة مقرون بها العطب

يا هند لا والذي حج الحجيج له * لايشتهي الموت عندي من له أدب

وهذا أحسن ما قيل في مدح الجبن وقال بعضهم الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح البؤس

(باب مدح الجود)

في الخبر ان الله تبارك وتعالى يحب الجواد لانه جواد كريم (وفيه) أيضا الجود من أخلاق أهل الجنة ويقال الجود غاية الزهد والزهد غاية الجود (وقال) غيره الجود أن تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا (وقال) علي بن عبد الله الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء وكان خالد بن عبد الله القشيري يقول تنافسوا في المغانم وسارعوا الى المكارم واكتسبوا بالجود حمدا ولا تكتسبوا بالمال ذما ولا تعدوا بمعروف لم تعجلوه واعلموا أن حوائج الناس نعمة من الله عليكم فلا تملوها فتعود نقما وقال الشاعر

لا تزهدن في اصطناع العرف تفعله * ان الذي يحرم المعروف محروم

(وقال آخر) من غير الكتاب الاصلي

ستلقى الذي قدمت للنفس محضرا * فانت بما تأتي من الخير أسعد

(وقال) طلحة بن عبد الله انا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نصبر (وقال) العتابي من منع الحمد ماله ورثه من لا يحمده عليه وكان يقال رب فاجر في دينه أخرق في معيشته دخل الجنة بسماحته (وقال) العتابي ثواب الجود ثلاثة خلف ومحبة ومكافأة وثواب البخل مثلها تلف ومذمة وحرمان (وكتب) الحسن بن علي الى أخيه رضي الله عنهم يعتب عليه في اعطاء الشعراء فأجابه خير المال ما وقي به العرض (وقال) غيره الجود أشرف الاخلاق وأنفس الاعلاق (وقال) ابن المعتز الجود حارس العرض من الذم (وقال) آخر الاسخياء يعبدهم المال والبخلاء يعبدونه (وقال) بعض السلف لو كان شيء يشبه الربوبية لما هو الا الجود (ويقال) من جاد ساد ومن بخل رذل (وقال) عمر رضي الله عنه السيد الجواد حين يسأل وقال أبو نواس

أنت للمال اذا أمسكته * فاذا أنفقته فالمال لك

(ولبعضهم) ياغافلا من حركات الفلك * نبهك الله فما أغفلك
مالك للغير اذا صنته * وكل ما أنفقته فهو لك

ولسيدنا عمر بن عبد العزيز لما لاموه على الكرم

مالي على حرام ان بخلت به * وصاحب البخل بين الناس مذموم
مالي أشح بمال لست أملكه * والمال بعدي اذا مامت مقسوم
لابارك الله في مال أخلفه * للوارثين وعرضي فيه مشتوم

(ولبعضهم)

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا * ومات في اثرهم تلك الكرامات
وخلفوني في قوم ذوي سفه * لو عاينوا طيف ضيف في الكرى ماتوا

(وفي) كتاب عيون الآداب روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أشد الاعمال ثلاثة انصاف الناس من نفسك ومواساة الاخ في مالك وذكر الله على كل حال (وقال) بعض العلماء من أيقن بالخلف جاد بالعطية أتى النبي صلى الله عليه وسلم باسارى فامر بقتلهم وأفرد رجلا منهم فقال على بن أبي طالب رضي الله عنه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فمابال هذا أفرد من بينهم فقال نزل على جبريل عليه السلام فقال أقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاء فيه (وقال) بعض الانبياء لابليس من أحب الناس اليك قال عابد بخيل قال فمن أبغض الناس اليك فقال فاسق سخي قال كيف ذلك قال لاني لا أرجو أن يقبل الله عبادته لبخله ولا آمن أن يطلع الله على العبد الفاسق فيرى بعض سخائه فيحبه ويرحمه

(باب ذم الجود)

قال بعض الحكماء من جاد بماله جاد بنفسه لانه جاد بما لاقوام له الا به (وكان) أبو الاسود الدؤلي يقول لاتجاودوا الله فانه أجود وأمجد ولوشاء أن يوسع على خلقه حتى لا يكون فيهم محتاج لفعل (وكان) يقول لوجدنا على المساكين باعطائهم مايسألوننا لكنا أسوأ حالا منهم وكان على بن الجهم يقول من وهب المال في عمله فهو أحمق ومن وهبه بعد العزل فهو مجنون ومن وهبه من جوائز سلطانه أو ميراث لم يتعب فيه فهو مخذول ومن وهبه من كسبه ومااستفاده بحيله فهو المطبوع على قلبه (وقال) محمد ابن الجهم اتركوا الجود للملوك فانه لايليق الا بهم ولا يصلح الا لهم ومن عارضهم في ذلك

وافتقر وافتضح فلا يلومن الا نفسه (وكان) ابن المقفع يقول ان مالك لا يعم الناس فاخصص به ذوى الحق (ومن) أحسن ماقيل فى تحسين البخل قول ابن المعتز

يارب جود جر فقر امرئ * فقام فى الناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه * فالبخل خير من سؤال البخيل

وقول أبي الفتح البستى

اشفق على الدرهم والعين * تسلم من الغيبة والدين
قوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

(وقول) عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر

فى كل شئ سرف * يكره حتى فى الكرم ولربما ألفان لا * أفضل من ألفى نعم

(وكان) الكندى يقول قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم

(باب مدح البخل)

من أمثال العرب الشحيح عذر من الظالم ومن أمثال العجم منع الجميع أرضى للجميع وقال بعضهم عجبت لمن سمى القصد بخلا وسمى السرف جودا وقال آخر حفظ ما فى يدك خير من طلب الفضل من أيدى الناس (وقال) صالح بن عبد القدوس

لا تجد بالعطاء فى غير حق * ليس فى منع غير ذى الحق بخل

وقال آخر اذا قبح السؤال حسن المنع وقال المتلمس

لحفظ المال خير من عطاه * وسعى فى البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

(ومما) يليق بهذا الباب قول الله تعالى لنبيه من لطف العتاب ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين

(باب ذم البخل)

قال الشعبى ما أفلح بخيل قط أما سمعتم قول الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال المأمون لمحمد بن عبد الله المهلبى بلغنى أنك متلاف فقال يا أمير المؤمنين منع الجود سوء ظن بالمعبود وهو تعالى يقول وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويقال البخيل أبدا ذليل ويقال لا مروأة لبخيل ويقال شر أخلاق الرجال البخل والجبن وهما من أخلاق النساء (وقال) الجاحظ البخل والجبن غريزة واحدة

يجمعهما سوء الظن بالله وقال غيره البخل يهدم مباني الكرم (وقال) ابن المعتز بشر مال البخيل بحادث أو وارث وقال أيضا أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه وقال الشاعر

وغيظ البخيل على من يجود * لاعجب عندي من بخله

ومن أمثال العرب هو يحسد أن يفضل و يزهد أن يفضل (ومن) قولهم هو يمنع دره ودر غيره و يحسد أن يعطى و يزهد أن يعطى وقال بعض الشعراء

ليس البخيل بأخذ لا بخيره * لكن من من بخير غيره

وقال الشاعر لايسود امرؤ بخيل ولو * مس بيافوخه عنان السما

(وقال) بعض السلف لولم ينطق القرآن في ذم البخل الا بقوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة لكفي وهو أبلغ البلاغ في تهجينه وأنهى النهي عن ايثاره (وقال) الله تعالى فيمن يبخل و يأمر بالبخل الذين يبخلون و يامرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله قال ابن مسعود في قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة يطوق بثعبان فينقر رأسه ثم ينطوى في عنقه فيقول أنا مالك الذى بخلت بي وقال بعضهم قد ذم الله من يمنع خيره و يامر بالبخل غيره فاياك أن تكون اياه

(باب مدح الحقد)

قال يحيى بن خالد البرمكى لعبد الملك بن صالح الهاشمى في كلام جرى بينهما أنت حقود فقال ان كنت تريد بقاء الخير والشر عندى فانا كذلك (و يقال) انه قال له أنا خزانة تجمع الخير والشر فقال يحيى هذا والله جبل قريش ومارأيت أحدا يمدح الحقد و يحسنه غيره بمثل هذا (وقد) أخذ معناه ابن الرومى وزاد فيه وحسنه فقال

وما الحقد الا توأم الشكر للفتى * و بعض السجايا ينتسبن الى بعض

اذا الارض كرت كل ما أنت زارع * من البذر فيها فهى ناهيك من أرض

(باب ذم الحقد)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الذنوب عند الله الحسد والحاسد مضاد لنعمة الله خارج عن أمر الله تارك لعهد الله (وقال) عز وجل ومن شر حاسد اذا حسد وأمر رسول الله أن يستعيذ به من شره (وقال) معاوية رضى الله عنه كل انسان أقدر ان أرضيه الا الحاسد لنعمة فانه لا يرضيه الا زوالها (وقال) عمر بن عبد العزيز مارأيت ظالما

أشبه بظلوم من حاسد غم دائم ونفس متتابع (وقال) الشاعر

ان الحسود الظلوم فى كرب * يخاله من يراه مظلوما
من نفس دائم على نفس * يظهر منه ما كان مكتوما

قال الشيخ الامام أنشدنى أبو منصور القوشنجى لنفسه فى هذا المعنى

قالوا يقود سعيد * جيشا لهم ويسود * وكيف ذاك وأنى
وهو الحقود الحسود * ولا يسود حسود * ولا يقود حقود

كان يقال الحقد داء دوى (ويقال) من كثر حقده دوى قلبه ويقال الحقد مفتاح كل شر ويقال حل عقد الحقد ينتظم لك عقد الود ويقال الحقود والحسود لا يسودان

وقال آخر لما عفوت ولم أحقد على أحد * أرحت نفسى من غم العدوات

(ويقال) لا يوجد العجول محمودا ولا المغضوب مسرورا ولا الحر حريصا ولا الكريم حسودا ولا الشره غنيا ولا الملول ذا اخوان (وقال) بعض الحكماء وجدت أول الاشياء منفعة وأضرها فى العاقبة الحاجة ووجدت أنكر العيش عيش الحسود

(وقال) الشاعر لا يحزنك فقران عراك ولا * تتبع أخاك فى ماله حسدا
فانه فى رخاء فى معيشته * وأنت تلقى بذاك الهم والنكدا

(وقال آخر) اذا ما المرء كان لنا حسودا * فأف لذلك من باغ حسود

(باب مدح الحياء)

مما أدركه الناس من كلام النبوة الحياء شعبة من الايمان وفيه أيضا الحياء خير كله فاذا لم تستح فافعل ما شئت (وقال) الشاعر

اذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحى فافعل ما تشاء
فلا وأبيك ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

(وفى) الخبر ان الله يحب الحيى المتعفف ويبغض الوقح الملحف (وقال) الحكيم الحياء سبب كل جميل (ويقال) من كساه الحياء ثوبه ستر عن العيون عيبه (ويقال) الحياء والايمان مقرونان فى قرن فاذا ارتفع أحدهما ارتفع الآخر (وقيل) لبنت ارسطاطاليس ما أحسن ما فى المرأة قالت الحمرة التى تعلو وجهها من الحياء (وقال) بعضهم أكثر الناس حياء من كان الذم أشد عليه من الفقر

((باب ذم الحياء))

كان يقال الحياء يمنع الرزق وفى أمثال العامة من استحيا من ابنة عمه لم يولد له فى الآخرة وقال على رضى الله عنه قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان (وقال) بعض المجربين استعينوا على قضاء حوائجكم بالوقاحة والابرام (وقال) غيره هذا زمان نكد عسير ليس الوقح المبرم ينجح فيه فكيف الحيي المخفف (ويروى) هذا زمان نكد لا ينجح فيه الوقح المتكفف فكيف الحيي المتعفف وقال الشاعر

ليس للحاجات الا * من له وجه وقاح واسات ذو فضول * وغدو ورواح

ومن غير الاصل ما أملاه الشيخ الامام المقدسي من مسموعاته الى آخر الباب (وقال) أبو القاسم الحريري

سألت زمانى وهو بالجهل عالم * وبالسخف مهتز وبالنقص مختص
فقلت له كيف الطريق الى الغنى * فقال طريقان الوقاحة والنقص

(ومما) سمع منه أيضا قال الوقاحة كالقداحة بها يستفز اللهب ويشتعل الحطب

﴿ باب مدح الاخوان والاصحاب ﴾

فى الخبر المرء كثير بأخيه ويقال الرجل بلا اخوان كالشمال بلا يمين ويقال من اتخذ اخوانا كانوا له أعوانا وقيل أعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم (وقال) المغيرة بن شعبة التارك للاخوان متروك (وقال) شبيب بن شيبة عليك بالاخوان فانهم زينة فى الرخاء وعدة عند البلاء وقال الشاعر

تكثر من الاخوان ما اسطعت انهم * عماد اذا استنجدتهم وظهير
وما بكثير ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

وقال اسمعيل بن صبيح الود أعطف من الرحم وقال العتبي لقاء الاخوان نزهة القلوب (وقال) ابن عائشة القرشي مجالسة الاخوان مسلاة للاحزان وقال سعيد بن مسلم ان فى لقاء الاخوان لغنما وان قل وقال سليم بن وهب غزل المودة أرق من غزل الصبابة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق (وقال) يونس النحوي يستحسن الصبر عن كل أحد الا عن الصديق وقال محمد بن يوسف من أكثر من أصدقائه ركب أعناق أعدائه وقال القطامي

واذا تصبك من الحوادث محنة * فالجأ باخو الصديق الاوثق

وقال السندي الصديق انسان هو أنت الا انه غيرك وقال المأمون الاخوان ثلاث

طبقات طبقة كالغذاء وطبقة كالدواء وطبقة كالداء فالغذاء لا يستغنى عنه أبدا والدواء يحتاج اليه أحيانا والداء لا يحتاج اليه بحال وقال ابن المغيرة اذا قدمت المودة تشبهت بالقرابة وقال الشاعر

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة * ولكن اخوان الثقاة الذخائر

(وقال أبو تمام) ذو الود مني وذو القربى بمنزلة * واخواني اسوة عندي واخواني

عصابة جاورت آدابهم أدبي * فهم وان فرقوا في الارض جيراني

أرواحنا في مكان واحد وغدت * أبداننا بشآم أو خراسان

وقلت في المبهج الصديق الصدوق ثاني النفس وثالث العينين ومنه الصديق الصدوق كالشقيق الشفوق ومنه الصديق عمدة الصديق وعدته ونصرته وعقدته وربيعه وزهرته ومشتريه وزهرته ومنه قربة الوداد أقرب من لحمة الولاد ومنه لقاء الخليل شفاء الغليل (ومنه) ليس للصديق اذا حضر عديل ولا عنه اذا غاب بديل ومنه مثل الصديقين كاليد تستعين باليد والعين تستعين بالعين ومنه لقاء الصديق روح الحياة وفراقه سم الحياة ومنه لا تساغ مرارة الاوقات الا بحلاوة الاخوان الثقات (ومنه) استروح من غمة الزمان بمناسمة الخلان ومنه الحاجة الى الاخ المعين كالحاجة الى الماء المعين ولبعضهم في معنى هذا الباب

ماضاع من كان له صاحب * يقدر أن يصلح من شأنه

فانما الدنيا بسكانها * وانما المرء باخوانه

(باب ذم الاخوان)

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول من كثر اخوانه كثر غرماؤه يعني في قضاء الحقوق وقال عمر بن مسعدة العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وقال ابراهيم بن العباس مثل الاخوان كالنار قليلها متاع وكثيرها بوار (وقال) الكندي لابنه يابني الاصدقاء هم الاعداء لانك اذا احتجت اليهم منعوك واذا احتاجوا اليك ثلبوك وسلبوك وكان بعضهم يقول في دعائه اللهم احرسني من أصدقائي فاذا قيل له في ذلك قال أقدر على الاحتراس من أعدائي ولا أقدر على الاحتراس من أصدقائي وقال ابن المعتز أصدقاء السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا وقال أيضا انما تطيب الدنيا بمساعدة الاخوان وينتفع بهم في كافة الاحوال والا فعلى الصداقة الدمار وما أرجوه

منها اذا كانت تنقطع فى الآخرة ولا تتصل بما أحب فى الدنيا وقال أبو العتاهية
أنت ما استغنيت عن * صاحبك الدهر أخوه فاذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه
وقال ابراهيم بن العباس
نعم الزمان زمانى * الشأن فى الاخوان فيمن رمانى لما * رأى الزمان رمانى
لو قيل لى خذ أمانا * من أعظم الحدثان لما طلبت أمانا * الا من الاخوان

(وقال ابن الرومى)

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وللامام الشافعى رضى الله عنه

صديقك من يعادى من تعادى * بطول الدهر ما سجع الحمام
و يوفى الدين عنك بغير مطل * ولا يعتن به أبدا دوام
فان صافى صديقك من تعادى * ويفرح حين ترشقك السهام
فذاك هو العدو بغير شك * تجنبه فصحبته حرام
فاناقد سمعنا بيت شعر * شبيه الدر زينه النظام
اذا وافى صديقك من تعادى * فقد عاداك وانفصل الكلام

ولبعضهم وأنت أخى مالم تكن لى حاجة * فان عرضت أيقنت ان لا أخاليا

(وقال ابن المعتز)

وأفردنى عن الاخوان علمى * بهم فبقيت مهجور النواحى
اذا ما قل وفرى قل مدحى * فان أثريت عادوا فى امتداحى
فكم ذم لهم فى جنب مدح * وجد بين أثناء المزاح

وقال آخر آخ من شئت ثم رم منه شيأ * تلق من دون ما أردت الثريا
(وللمتنبى) صديقك أنت لا من قلت خلى * وان كثر التجمل والكلام
ومن غير الكتاب احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديق فكان أخبر بالمضره
وقال آخر ألا ان اخوانى الذين عهدتهم * أفاعى رمال ما تقصر فى اسعى
ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم * حللت بواد منهم غير ذى زرع

ولبعضهم صديق يفدينا اذا كان حاضرا * ويوسعنا فى حال غيبته لسعا
له لطف قول دونه كل رقية * ولكنه فى فعله حية تسعى

(باب مدح المزاح)

كان النبى صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الاحقا وكان العباس رضى الله عنه يقول مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار المزح سنة ومن مزاحه عليه الصلاة والسلام انه كسا امرأة من نسائه ثوبا فقال البسيه واحمدى الله وجرى ثوب العروس وقيل لسفيان بن عيينة المزاح هجنة فقال بل سنة ولكن الشأن فيمن يحسنه ويضعه مواضعه وكان على رضى الله عنه فيه دعابة وكان يقال المزح فى الكلام كالملح فى الطعام وقد نظمه أبو الفتح البستى فقال

أفد طبعك المكدود بالهم راحة * قليلا وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ماتعطى الطعام من الملح

ويقال الافراط فى المزح مجون والاقتصاد فيه ظرافة والتقصير فيه ندامة وقال عطاء ابن السائب كان سعيد بن جبير لا يقص علينا الا أبكانا بوعظه ولا يقوم من مجلسنا حتى يضحكنا بمزحه وقال المتنبى

ولما صار ود الناس خبا * جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه * لعلمى انه بعض الانام *
فحب العاقلين على التصافى * وحب الجاهلين على الوسام

(باب ذم المزاح)

(قال) بعض حكماء العرب المزاح يذهب المهابة ويورث الضغينة والمهانة (وقال) بعضهم المزاح سباب النوكى (وقال) بعضهم المزاح هو السباب الاصغر (وقال) آخر المزاح يجلب الشر صغيره والحرب كبيره وقال آخر لو كان المزاح فحلا لم ينتج الاشرا (ويقال) المزاح أوله فرح وآخره ترح وخير المزاح لا ينال وشره لا يقال وقل مزاح لم يحدث شرا أو ضغينة وقال ابن المعتز المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب (وقال أيضا) من كثر مزاحه لم يزل فى استخفاف به وحقد عليه وقال أيضا رب مزح فى عوده جد وقال أبو نواس

قد صار فى الناس جدا ما مزحت به * كم مازح صار بين الناس مذموما

(وقال) أيضاً أية نار قدح القادح وأي جد بلغ المارح (ويقال) لكل شيء بدء وبدء العداوة المزاح (وقال) سالم بن قتيبة لاهل بيته لا تمازحوا فيستخف بكم ولا تدخلوا الاسواق فتدق أخلاقكم (وقال) الاحنف من كثر مزاحه ذهبت هيبته ومن كثر ضحكه استخف به (وقال الشاعر)

أما المزاح والمراء فدعهما * خلقان لا أرضاهما لصديق

(وقال آخر) ان المزاح للجلال مسلبه * والضحك أيضاً للبهاء مذهبه

(وقال آخر) ان المزاح يورث الضغينه * وجل ضغن في الحشا مونه

﴿ باب مدح العتاب ﴾

قال بعض البلغاء العتاب حدائق المتحابين وثمار الاوداء والدليل على الضن بالاخوة ويقال ظاهر العتاب خير من باطن الحقد ويقال من لم يعاتب على الزلة فليس بحافظ للخلة وقال الشاعر

نعاتبكم يا آل عمرو لحبكم * ألا انما المقلى من لا يعاتب

وقال ابن المعتز العتاب حياة المودة ويقال من كثر حقده قل عتابه وقال الشاعر

ترك العتاب اذا استحق أخ * منك العتاب ذريعة الهجر

(وقال آخر) اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقي العتاب

(وقال آخر) أبلغ أبا جعفر عني معاتبة * وفي العتاب حياة بين أقوام

﴿ باب ذم العتاب ﴾

قال بعضهم كثرة العتاب تورث الضغينة وتولد البغضة وقال بعض الحكماء البلغاء مثل العتاب مثل الدواء ينفي به عارض الصدود ويشفي بمكانه مرض الصدور فاذا استعمل لغير علة عارضة وتنوقل بلا حاجة ظاهرة تحول داء المحبة دوياً وصار موتا بيد القطيعة وحيا (وقال آخر) كثرة العتاب داعية الاجتناب وقال الشاعر

ان بعض العتاب يدعو الى حقد ويؤذي به المحب الحبيبا

فاذا ما القلوب لم تضمر الود فلن يعطف العتاب القلوبا

وقال آخر فدع العتاب فرب شر * هاج أوله العتاب

وقال آخر اذا ما كنت منكر كل ذنب * ولم تحل أخاك عن العتاب

تباعد من تعاتب بعد قرب * وصار به الزمان الى اجتناب

وقال ابن المعتز لا تعاتب صديقك لادنى سبب وأخفى شئ يتعلق به الظن فان ذلك يدل على ضعف ثقتك به ووهن مودتك له وكفى بما قاله بشار بن برد واعظا من العتاب

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لم تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

﴿ باب مدح الحجاب ﴾

أحسن ماقيل فى الحجاب قول أبى تمام

يا أيها الملك النائى برؤيته * وجوده لمراعى جوده كثب
ليس الحجاب بمقص منك لى أملى * ان السماء ترجى حين تحتجب

ولبعضهم له حاجب عن كل أمر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب

﴿ وقال ابن نباتة السعدى ﴾

ولو كان الحجاب بغير نفع * لما احتاج الفؤاد الى حجاب

وقال الحكيم الملك لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فان أجرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية وقال بعضهم كثرة الاذن مجلبة الابتذال وأبهة الملوك فى الاحتجاب (وقال آخر) المبذول مملول والممنوع متبوع وقد أحسن ابن المعتز فى قوله

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله * كذا تخلق المرء العيون اللوامح

وقال أبو جعفر العتبى للامير منصور بن نوح وهو يعرض له بالعتاب على التعرض لكثرة لقاء الناس له لو كان الله عز وجل ظاهرا للعيون غير محجوب عن العبيد لما عبد

﴿ باب ذم الحجاب ﴾

أحسن ماقيل فى ذم الحجاب قول بعض العصريين

ليس الحجاب بآلة الاشراف * ان الحجاب مجانب الانصاف
ولقلما يأتى فيحجب مرة * فيعود ثانية بقلب صاف

وقال محمد بن عبد الله بن أبى عيينة

انى أتيتك للسلام ولم * أنقل اليك لغيره رجلى
فحجبت دونك مرتين وقد * تشتد واحدة على مثلى

وكان خالد بن عبد الله القسرى يقول لحاجبه اذا أخذت مجلسى فلا تحجبن أحدا عنى

فان الوالي يحتجب لثلاثة أشياء عي يكره أن يطلع عليه أو ريبة يخاف انتشارها أو بخل يكره أن يسئل معه شيأ وكانت العجم تقول ماشيء أضيع للمملكة من شدة احتجاب الملوك ولاشيء أهيب للعدو لرعية وأكف لهم عن الظلم من سهولته وقال أبو العتاهية

متى يبلغ الغادي اليك لحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم

(وقال المتنبي) وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا * ودون الذي أملت منك حجاب

﴿باب مدح الزيارة﴾

(في الخبر) من زار أخاه أو عاد مريضا نادى مناد من السماء أن طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا ويقال امش ميلا وعد مريضا وامش ميلين وأصلح بين اثنين وامش ثلاثة أميال وزر صديقا في الله المتعال ويقال الزيارة عمارة المودة ومنظرة الخلة وزار بعض العلوية يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله فقال له يحيى ان زرتنا فبفضلك وان زرناك فلفضلك فلك الفضل زائرا ومزورا وقال الشاعر

أزور محمدا فاذا التقينا * تكلمت الضمائر في الصدور
فارجع لم ألمه ولم يلمني * وقد رضي الضمير عن الضمير

(وقال في المبهج) من زار صديقه الذي يفضي اليه بسره فقد لقي السرور بأسره وخرج عن عقال الهم وأسره (وفيه) زيارة الصديق تترك الهم مطردا والانس مطردا (وفيه) في زيارة الاخوان روح الجنان وراحة الجنان

﴿باب ذم الزيارة﴾

في الخبر زر غبا تزدد حبا ويقال قلة الزيارة أمان من الملالة وينشد

اني كثرت عليه في زيارته * فمل والشيء مملول اذا كثرا
ورابني منه أني لا أزال أرى * في طرفه قصرا عني اذا نظرا

(وقال كشاجم) قد قلت لما أن شكت * ترك زيارتها القلوب
ان التباعد لا يضر اذا تقاربت القلوب

(وقال منصور الفقيه) كثرت عليه فملني * وكل كثير عدو الطبيعه

(وقال آخر) أقلل زيارتك الحبيب تكون كالثوب استجده
ان الصديق يمله * أن لا يزال يراك عنده

وأحسن من هذا قول الآخر

عليك باقلال الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
ألم تر أن القطر يسأم دائما * ويسئل بالأيدى اذا هو أمسكا

وأحسن ما قيل فيه قول الآخر

أقلل زيارة من تهوى مودته * فالناس من لم يواسيهم أجلوه
فالغيث وهو حياة الناس كلهم * ان دام أكثر من يومين ملوه

(باب مدح النساء)

قال النبي صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنيا كم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني فى الصلاة وقال عليه الصلاة والسلام تنكح المرأة لجمالها ومالها فعليك بذات الدين تربت يداك ثم قال عليه الصلاة والسلام ما أفاد رجل بعد الاسلام خيرا من امرأة ذات دين تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا أمرها وتحفظه فى نفسه وماله اذا غاب عنها وقال مسلمة بن عبد الله المرأة الصالحة خير للمرء من عينيه ويديه ويقال أقر متاع الدنيا للعين المرء المرأة الصالحة والولد الاريب ويقال من لم تحنه نساؤه تكامل فيه ويقال خير النساء الودود الولود القعود وقال بعض العرب خير النساء الهينة اللينة النقية التقية التى تعين زوجها على الدهر ولا تعين الدهر على زوجها وقال بعض السلف المرأة الصالحة احدى الحسنيين ويقال أعون الاعوان على المعيشة المرأة الصالحة * ويقال الانسان لا يسكن الى شئ كسكونه الى زوجته ولذلك ان الله تعالى خلق حواء ليسكن اليها آدم عليه السلام كما قال عز اسمه هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فالسكون الى الازواج والانس بهن مما ورثوه عن آبائهم وقال بعضهم ان الرجل لا يسكن الى شئ كسكونه الى زوجته الموافقة المواتية له لان الله عز اسمه يقول ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ولم يخصص بهذه الصفة غير النساء ولذلك يهجر الرجل والديه وأولاده ومن دونهم بسبب زوجته ولذلك لا يهتم أحد لأحد كاهتمام المرأة الصالحة لزوجها فى شفقتها عليه وعلى عياله ولا يكاد يتم أمر منزل الرجل ومروأته الا بحرة شفيقة رفيعة صالحة عفيفة والا اختلت أموره واضطربت أسبابه (وقال) خالد بن صفوان لرجل اطلب لى بكرا كثيب أو ثيبا كبكر لا ضرعاء

صغيرة ولا عجوزا كبيرة قد عاشت فى نعمة وأدركتها حاجة تخلق النعمة فيها وذل الحاجة معها (ومن) أحسن ما قيل فيهن قول الشاعر

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها * وعيش بنى الدنيا لقاء بناتها

وقال آخر ان النساء رياحين خلقن لنا * وكلنا نشتهى شم الرياحين

﴿ باب ذم النساء ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم فى ذكر النساء انهن ناقصات العقل والدين (وقال) عليه الصلاة والسلام شاوروهن وخالفوهن فان البركة فى خلافهن (وقال) عمر رضى الله تعالى عنه استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ويقال) النساء حبائل الشيطان (ويقال) اعص هواك والنساء وأطع من تشاء (وقال) النبي عليه الصلاة والسلام ما تركت بعدى فتنة أضر بالرجال من النساء (وعنه) عليه الصلاة والسلام خلقت المرأة من ضلع عوجاء فان داريتها استمتعت بها وان رمت تقويمها كسرتها (وقال) الشاعر على هذا

هى الضلع العوجاء لست تقيمها * ألا ان تقويم الضلوع انكسارها

وتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى * وهذا عجيب ضعفها واقتدارها

(وقيل) ان كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال الله ان كيدكن عظيم (وقال) بعض الحكماء لا ينبغى للعاقل أن يمدح امرأته الا بعد موتها (وقال بعضهم)

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

فهن أصل البليات التى ظهرت * بين البرية فى الدنيا وفى الدين

وكان المأمون يقول النساء شر كلهن ومن شر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن (وقال) بعضهم المرأة الصالحة غل قمل يضعه الله فى عنق من يشاء من عباده و يفكه عمن يشاء وكان يقال من القواتل امرأة ان حضرتها سبتك وان غبت عنها لم تأمنها وقال بعض الحكماء أضر الاشياء بالدين والعقل والجسم والمال الغرام بالنساء ومن لؤم من يبتلى بهن انه لا يقتصر على ما عنده و يطمح الى ما ليس له (وقال بعضهم) من يحصى مساوى النساء وقد اجتمعت فيهن نجاسة البطن والفرج وما فيهن الا ناقصة العقل والدين لا تصلى ولا تصوم أيام حيضها ولا يسلم عليها وليست عليهن جمعة ولا جماعة

ولا يكون فيهن نبي ولا قاض ولا يسافرن الا بولي (ويقال) مانهيت امرأة عن شئ قط الا أتته وفي معناه يقول طفيل الغنوي

ان النساء كأشجار نبتن لنا * منهن مر وبعض المر مأكول
ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واجب لابد مفعول

وقال رجاء بن حيوة قال معاذ بن جبل انكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم واني أخاف عليكم فتنة السراء وان أشدها لكم عندي النساء اذا تحلين الذهب والفضة ولبسن ريط الشام وعصب اليمن أتعبن الغني وكلفن الفقير مالا يقدر عليه

(باب مدح التزوج)

قيل للحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما انك يا ابن رسول الله منكاح مطلاق فقال لاني أحب الغنى وقد سمعت الله تعالى يقول وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله فنكحت أبتغي الغنى وسمعته يقول وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته فطلقت أبتغي الغنى أيضا (وقال) النبي عليه الصلاة والسلام لعكاف الهلالي ألك امرأة قال لا قال فانت اذا من اخوان الشياطين فان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا فمن سنتنا النكاح (وقال) بعض الصحابة عند وفاته زوجوني زوجوني فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني أن لا ألقاه أعزب (وقال) معاذ بن جبل لو لم يبق من عمري الا ليلة لاحببت أن تكون لي فيها زوجة خوف الفتنة وقال بعض السلف لاعزب والله ما يمنعك من التزوج الا عجز أو فتور (ويقال) النكاح من سنن المرسلين وكذلك العطر والسواك

(باب ذم التزوج)

(سئل) بعض الحكماء البلغاء عن التزوج فقال فرح شهر وغم دهر وغرم مهر ودق ظهر وقيل لرجل أملك فقال اهلك وقال آخر المملك هو الهلوك الا أن ثمنه عليه (وقال) بعض العرب بيتا فيه

يقولون تزويج وأشهد أنه * هو البيع الا من يشاء يكذب

(ويقال) قيل للعتابي انت أعزب فلو تزوجت فقال وجدت الصبر عنهن أيسر من الصبر عليهن (وقيل) لمالك بن دينار مثل ذلك فقال لو استطعت لطلقت نفسي وفي كتاب ملح النوادر أن ذئبا كان ينتاب بعض القرى ويعبث فيها فترصده أهلها حتى

صادوه وتشاوروا فى تعذيبه وقتله فقال بعضهم تقطع يداه ورجلاه وتدق أسنانه ويخلع لسانه وقال بعضهم بل يصلب ويرشق بالنبال وقال بعضهم لا بل توقد نار عظيمة ويلقى فيها وقال بعض الممتحنين بنسائه لا بل يزوج وكفى بالتزويج تعذيبا وفى هذه القصة يقول الشاعر

رب ذئب أخذوه * وتماروا فى عقابه * ثم قالوا زوجوه * وذروه فى عذابه

((باب مدح الجوارى))

كان يقال من أراد قلة المؤنة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر (وكان) عبد الملك يقول عجبت لمن استمتع بالسرارى كيف يتزوج الحرائر (ويقال) السرور فى اتخاذ السرارى (وكان) أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء أمهات أولادهم حتى نشأ فيهم على بن الحسين بن على بن أبى طالب والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفاقوا أهل المدينة فقها وعلما وورعا وما منهم الا ابن سرية فرغب الناس فى اتخاذ السرارى وقال مؤلف الكتاب وليس فى خلفاء بنى العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والمخلوع وأما الباقون كلهم فأبناء السرارى والجوارى وقد أوردت أسماء الكل فى كتاب لطائف المعارف المؤلف بخزانة مولانا الملك المؤيد أعز الله نصره وثبت ملكه وكان يقال النجابة فى أولاد الاماء لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم ولما تزوج على بن الحسين بأم ولد لرجل من الانصار لامه عبد الملك بن مروان على ذلك فكتب اليه ان الله عز اسمه قد رفع بالاسلام الخسيسة وأتم النقيصة وأكرم من اللؤم فلا عار على مسلم فى حلال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أمة وأم ولد فقال عبد الملك ان عليا يتشرف من حيث تتضع الناس وفى كتاب المبهج الجارية الوسيمة من النعم الجسيمة (وفيه) لا تتخذ السرية الا سرية قال وقلت فى كتاب المترف

سقيا لدهر سرورى * والعيش بين السرارى * اذ طير سعدى جوار
مع امتلاك الجوارى * أيام عيشى قعودى * وقد ملكت اختيارى
أجرى بغير عذار * أجنى بغير اعتذار * وغيم لهوى مطير
وزند أنسى وارى * كأن خوارزم شاه * لهم أم أصح جارى
من ريب دهر خؤن * بغير ما مرجارى * ذاك المليك الذى قد

حكت يداه السوارى * وقد حمى الدين لما * جلاه يوم الفخار
فظل سورا عليه * وتارة كسوار * لازال خوار زمشاه
يحوى الغنى باقتدار * صدرا بغير مبار * بدرا بغير سرار

(باب ذم الجوارى)

أحسن ما سمعت فى ذم الجوارى ما أنشدنى أبو الحسن السهروردى قال أنشدنى المحبوبى المروزى قال الشاعر

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حرا عيدة * فهن لعمر الله شر القعائد

(وكان) يقال الجوارى كخبز السوق والحرائر كخبز الدور (ومن) أمثال العرب لا تمازح أمة ولا تبل على أكمة (وسمعت) أبا الحسن الماسرخسى يقول سمعت بعض صدور نيسابور يقول لا تفترش من تداولتها أيدى النخاسين ووقع عنها فى الموازين ويقال لا خير فى بنات الكفر وقد نودى عليهن فى الاسواق ومرت عليهن أيدى الفساق

(باب مدح العيال)

قال بعض السلف استكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون (ويقال) من لا عيال له لا مروءة له (وقال) طلحة الطلحات لا تمتنعوا من اتخاذ العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون واعلموا أن أرزاقهم على الله ومرافقهم لكم (وكان) يقال الكلب ومن لا عيال له بمنزلة (وكان) جعفر بن سليمان يقول المروءة فى سعة الحال وكثرة العيال وشكا رجل الى بعض العلماء كثرة عياله فقال له من كان من عيالك رزقه على غير الله فحوله الى * ومما يستحسن فى ذلك لابى العتاهية

الخلق كلهم عيال * لله تحت ظلاله وأحبهم طرا اليه أبرهم لعياله

* (باب ذم العيال) *

كان يقال قلة العيال أحد اليسارين (وقال) خلف بن أيوب كم من كريم فضحته العيال (وقال) سفيان بن عيينة لا يصلح ولا يجوز ولا يستقيم أن يكون صاحب العيال ورعا (ويقال) العاقل يتخذ المال قبل العيال والجاهل يتخذ العيال قبل المال ورؤى سفيان بن عيينة يوما واقفا بباب يحيى بن خالد البرمكى فقيل له ليس هذا من مواطنك يا أبا محمد فقال متى رأيتم صاحب العيال أفلح (وكان) يقول انى لاعجب

ممن له عيال وليس له مال كيف لا يخرج على الناس بالسيف (ومن) الامثال السائرة العيال سوس المال (وقيل) لبعضهم ما المال قال قلة العيال وقال آخر لا مال لكثير العيال (ومن) مواعظ كتاب المبهج استظهر على الدهر بخفة الظهر

(باب مدح الولد)

فى الخبر المرفوع ريح الولد من ريح الجنة (ويروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لاحد الحسنين رضى الله عنهما انك من ريحان الله (وعنه) عليه الصلاة والسلام ولد الرجل من أطيب كسبه (ويقال) الولد قرة العين وريحانة الانف وثمرة القلب وقال بعض السلف أولادنا أكبادنا وقال الاحنف لمعاوية أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة ان غضبوا فأرضهم وان سألوا فأعطهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك (وقالت) اعرابية وهى ترقص ولدها

يا حبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد أهكذا كل ولد * أم لم يلد قبلى أحد

(ومما يستحسن من ألفاظ الصاحب قوله فى كتاب) وصل كتاب مولاى فالصقته بالقلب والكبد وشممته شم الولد وقال من سره أن يرى كبده يمشى على الارض فلير ولده

(باب ذم الولد)

قال بعض حكماء العرب من سره بنوه ساءته نفسه (وكان) يحيى بن خالد يقول ما رأى أحد فى ولده ما يحب الا رأى فى نفسه ما يكره (وقال) ابن الرومى فى معناه

كم من سرور لى بمولود أوله بعد * وبأن يهدى الزما * ن رأيت منته أشد
ومن العجائب أن أسر بمن يشد بما أهد

(وقال) ابن المعتز فى فصوله أفقرك لولد أو عاداك (وفى) المبهج اذا ترعرع الولد تزعزع الوالد (وقيل) لعيسى عليه السلام هل لك فى الولد فقال ما حاجتى اليه ان عاش كدنى وان مات هدنى (وقيل) لبعض النساك ما بالك لا تبتغى ما كتب الله لك قال سمعا لامر الله ولا مرحبا بمن ان عاش فتننى وان مات أحزننى يريد قوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال حكيم فى ذم الاولاد ملوك صغارا وأعداء كبارا يريد قوله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم (ويقال) من أراد أن يذوق الحلاوة والمرارة فليتخذ ولدا (وينشد) لابى سهل سعيد بن عبد الله الشكلى

هذا الذي كنت أحذره * فيما يحدث عن كعب ومسعود

ان دام هذا ولم يحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

وقال المتنبي وما الدهر أهل أن يؤمل عنده * حياة وأن يشتاق فيه الى النسل

وقال البستي يقولون ذكر المرء يحيا بنسله * وليس له ذكر اذا لم يكن نسل

فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي * فان فاتنا نسل فانا بها نسلو

(وقال ابن المعتز)

سكنتك يا دنيا برغمي بكرها * وما كان لي في ذا الصنع ولا الأمر

وجربت حتى قد قتلتك خبرة * فأنت وعاء حشوه الهم والضر

فان ارتحل يوما أودعك ذميمة * وما فيك من عودي غراس ولا بذر

(وقيل) لفيلسوف بم عققت والديك فقال لانهما أخرجاني الى عالم الكون والفساد (وقيل) لاعرابي لم أخرت التزوج الى الكبر فقال لابادر ولدي باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق (وحدثني) أبو نصر سهل بن المهدي قال كان رجل من المياسير بالبصرة يتمنى أن يرزق ابنا وينذر عليه النذور حتى ولد له فسر به غاية السرور وأحسن تربيته حتى ارتفع عن مبلغ الاطفال الى حد الرجال ولم يبق شيء من أمر الدنيا سواه ولم يؤخر ممكنا من الاحسان عنه فلم يشعر الاب ذات يوم الا بخنجر خالط جوفه من وراء ظهره فاستغاث بابنه فلم يجبه ثم استغاث به ثانية والتفت فاذا هو صاحب الضربة فقال الشيخ لا اله الا الله محمد رسول الله أستغفر الله صدق الله أراد بالتهليل أن يلقى الله بالايمان وبالاستغفار ان الله تعالى حذره فلم يحذر وبقوله صدق الله عز وجل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم فجمع بهذه الكلمات كل ما يحتاج اليه في تلك الحال

(باب مدح البنات)

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا معاوية فقال هذه تفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الانف فقال أمطها عنك قال ولم قال لانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الشحناء ويثرن البغضاء قال لا تقل ذلك يا عمرو فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الزمان ولا أذهب جيش الاحزان مثلهن وانك لواجد خالا قد نفعه بنو أخته وأبا قد رفعه نسل

بنته فقال يا معاوية دخلت عليك وما على الارض شئ أبغض الى منهن وانى لاخرج من عندك وما عليها شئ أحب الى منهن (وقال) معن بن أوس

رأيت رجالا يكرهون بناتهم * وفيهن لا نكذب نساء صوالح
وفيهن والايام يعثرن بالفتى * خوادم لا يمللنه ونوائح

وقال العلوى الجمانى فى صديق له ولدت له بنت فسخطها شعرا

قالوا له ماذا رزقتا * فاصاخ ثم قال بنتا * وأجل من ولد النساء
أبو البنات فلم جزعتا * ان الذين تودهم * بين الخلائق ما استطعتا
نالوا بغض البنت ما * كبتوا به الاعداء كبتا

(وفى) رقعة الصاحب بالتهنئة بالبنت أهلا وسهلا بعقيلة النساء وأم الابناء وجالبة الاصهار والاولاد الاطهار والمبشرة باخوة يتناسقون ونجباء يتلاحقون شعر

فلو كان النساء كمن وجدنا * لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب * وما التذكير فخر للهلال

والله تعالى يعرفك يا مولاى البركة فى مطلعها والسعادة بموقعها فادرع اغتباطا واستأنف نشاطا فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها والذكور يعبدونها والارض مؤنثة ومنها خلقت البرية وفيها كثرت الذرية والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب والنفس مؤنثة وهى قوام الابدان وملاك الحيوان والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الاجسام ولا عرف الانام والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون فهنيئا لك هنيئا بما أوتيت وأوزعك الله شكر ما أعطيت (ونسخة رقعة لابى الفرج الببغا) تصل بى خبر المولودة المسعودة كرم الله عرقها وأنبتها نباتا حسنا وما كان من تغيرك عند اتصال الخبر وانكارك ما اختاره الله لك فى سابق القدر وقد علمت أنهن أقرب من القلوب وان الله بدأ بهن فى الترتيب فقال عز من قائل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وما سماه الله تعالى هبة فهو بالشكر أولى وبحسن التقبل أحرى فهنأك الله بورود الكريمة عليك وعرفها اعداد النسل الطيب لديك والله أعلم

﴿ باب ذم البنات ﴾

قيل لاعرابى ما ولدك قال قليل خبيث قيل وكيف ذلك قال لا عدد أقل من الواحد

ولا أخبث من بنت (وكان يقال) دفن البنات من المكرمات (ويقال) تقديم الحرم من النعم (وفى) الحديث المرفوع نعم الختن القبر وروى لعبد الله بن طاهر

لكل أبي بنت اذا ما ترعرعت * ثلاثة أصهار اذا ذكر الصهر
فزوج يراعيها وبيت يكنها * وقبر يواريها وخيرهم القبر

(وقال غيره)

جعلت فداك من النائبات * ومتعت ما عشت من الطيبات
سروران ما لهما ثالث * حياة البنين وموت البنات
وأصدق من ذين قول الحكيم * دفن البنات من المكرمات

(وكان) الاستاذ الطبرى يقول ليس بشيخ من لا بنت له وان كان ابن تسعين سنة وليس بشاب من له بنت وان كان ابن عشرين سنة (وقيل) طوبى لمن صاهر القبر وخطب اليه الدهر ووضع فى ميزانه الاجر

(باب مدح الغلمان)

قال مطيع بن اياس لو لم يكن للمرد فضيلة الا أن الله تعالى خلق ملائكته مردا وأهل الجنة مردا لكانت فيها الكفاية واعا عنى الحديث المرفوع أهل الجنة مرد جرد مكحلون (وفى) ذلك يقول الشاعر

لو كان يرضى ربنا باللحى * ما خلق الجنة للمرد

(وكان) يقال الغلام هو الرفيق فى السفر والقرين فى الحضر والصديق فى الشدة والرخاء والمعين على الشغل والنديم عند الشرب وهو مفتاح الانس (وكان) يحيى ابن أكثم يقول قد أكرم الله أهل جنته بان أطاف عليهم غلمانا كأنهم لؤلؤ مكنون وولدانا مخلدين فى وقت رضاه عنهم وقرب اتصاله منهم لفضلهم فى الخدمة على الجوارى فما الذى يمنعنى عاجلا عن طلب هذه الكرامة المخصوص بها أهل القربة عند الله والزلفى لديه (وقيل لمسلم الاصغر) لم فضلت الغلام على الجارية فقال لانه فى السفر صاحب ومع الاخوان نديم وفى الخلوة أهل (وقال) مطيع بن اياس

من كان تعجبه الانثى ويعجبها * من الرجال فانى شفنى الذكر
فوق الجامى لما طرشاربه * رخص البنان نقى من جلده الشعر
لم يعف من كبرتى يراد به * من الامور ولا أزرى به الصغر

(وقال آخر) فديتك انما اخترنا العدا * لانك لا تحيض ولا تبيض
ولو ملنا الى وصل الغواني * لضاق بنسلنا البلد العريض

(وقال أبو نواس) انى امرؤ أبغض النعاج وقد * يعجبني من نتاجها الحمل
حتى اذا ما رأيت لحيته * فليس بيني وبينه عمل

(وكتب) بعضهم الى صديق له على ظهر
كتبت اليك في ظهر لعلمي * بانا معشر نهوى الظهورا
وان الصيد للغزلان خير * من السمك الذي يأوي البحورا

(باب ذم الغلمان)

قال بعض السلف لا تملؤا أعينكم من المرد فان فتنتهم كفتنة الغواني وتربو عليها وقيل من أولع بحب الغلمان استهدف لالسن الطاعنين وقال ابن الرومي
حبك الغلمان ما * أمكن النسوان غبن انما تعشق في ظهر اذا أعوز بطن

(وقال الصابي)

لحاجة المرء في الادبار ادبار * والمائلون الى الاحواء أحرار
كم من ظريف نظيف بات ممتطيا * ردف الغلام فاضحى وهو عطار
تصفر أثوابه من ورس فقحته * فيستبين لذاك الخزى والعار
لا يستطيع جحودا اذ تقذره * يوما وفى ثوبه للسلح آثار
كم بين ذاك ومن باتت مطيته * حوراء ناظرها بالغنج سحار
يقوم عنها وقد أهدت له أرجا * تضوعت من غوالى طيبه الدار
ليس الغلام لها عدلا يقاس بها * وهل يقاس بعود الند أقذار
اياكم يا ثقاتي من مخالفتى * فلا يصدكم عن الاحراح أحجار

وقال بعض الرؤساء استراح من اقتصر على النساء وقال بعض الحكماء الظرفاء اللواط ليس من الاحتياط وكان الاستاذ الطبري يقول اجتماع لا يرين في لحاف واحد خطر عظيم وخطأ كبير وانشد
عليك الامات وايثارهن * ودع سيدى عنك ذكر الذكر
فليس اللواط من الاحتياط * وايران تحت لحاف خطر

(باب مدح الخط والعذار)

يقال هل يحسن الروض الابزهره وقال بعض البلغاء أحسن ما يكون وجه الامرد الصبيح اذا نقش الخط فص وجهه وأحرق فضة خده وقال آخر خط الوجه الحسن كالسواد الحال فى القمر ومن أحاسن الشعر فى معناه للصاحب الجليل حيث قال

ان كنت تنكره فالبدر يعرفه * أو كنت تظلمه فالحسن ينصفه
ما جاءه الشعر كى يمحو محاسنه * وانما جاءه عمدا يغلفه

(وقال أبو الفرج الببغاء)

ومهفهف لما اكتست وجناته * حلل المحاسن طرزت بعذاره
لما انتصرت على عظيم جفائه * بالقلب دار القلب من أنصاره

(وقال أبو نواس)

قد كان بدر السماء حسنا * والناس فى حبه سواء * فزاده ربه عذارا
تمه الحسن والبهاء * لا تعجبوا ربنا قدير * يزيد فى الخلق ما يشاء

وقال أيضا

من أين للرشأ الغرير الاحور * فى الخد مثل عذاره المتحدر
قمر كأن بعارضيه كليهما * مسكا تساقط فوق ورد أحمر

(وقال الشهاب الحجازى)

ومهفهف ألحاظه وعذاره * يتعاضدان على فناء الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس * كانت حمائل غمده من آس

وقال آخر

وخط تم فى صفحات خد * له فى كل يوم ألف عاشق
كأن الريح قد مرت بمسك * وذرت ما حوته على الشقائق

(باب ذم الخط والعذار)

قال بعض البلغاء اذا اختط الغلام استحال نور خده دجا وزمرد خطه سجا ويقال عيب العذار أن يكسف الهلال ويحيل الحال ويمسخ الجمال وينقص الكمال وقال الشاعر

قالت لما اشوكت وجنتاه * وأزال الظلام ضوء نهاره
أى شئ هذا فقال مجيبا * كل من مات سودوا باب داره

(وقال التنوخى)

قلت لاصحابى وقد مربى * منتقبا عد الضيا بالظلم

بالله يا أهـــل ودي قفوا * كي تبصروا كيف نزول النعم

(وقال بعض العصريين)

أذني عليه الشهر والدهر * ومحاسن وجهه الشعر
ومن يصف ماقد دهاه يقل * لا تعجبوا قد يكسف البدر

(وقال آخر)

مايفعل الله باليهود * ولا بعاد ولا ثمود
ولا بابليس اذ تأبى * يوم دعاه الى السجود
ولا بفرعون اذ تعدى * مايفعل الشعر بالخدود
بينا يرى الامرد المفدى * كالبدر في ليلة السعود
اذ غمر الشعر عارضيه * وصار قردا من القرود

وقيل ليس بعد الشعر حسن

(باب مدح المماليك)

يقال العبد من لا عبد له و يقال الكلب ومن لا عبد له سواء وقال دعبل النسابة في المماليك هم عز مستفاد وفي أكباد الاعداء أوتاد وقال سعيد بن سالم لابد للعبيد من عبيد وكان يقال الاحسان الى العبيد مرضاة للرب ومسخطة للعدو وكان جعفر ابن سليمان يقول في العبيدان أكاوا من مالك زادوا في جمالك ويقال العيش في سعة الدار والعز في كثرة العبيد وقال آخر عز الملوك في كثرة المملوك وقال آخر رب عبد خير من ولد لان الولد في أكثر الاوقات والاحوال يرى صلاحه في موت أبيه والعبد يرى صلاحه في بقاء سيده وأحسن ماسمعت في وصف مملوك ومدحه قول أبي عثمان الخالدي في شأن غلامه حيث قال

ماهو عبد لكنه ولد * خولنيه المهيمن الصمد
وشد أزري بحسن خدمته * فهو يدي والذراع والعضد
صغير سن كبير منفعة * تمازج الضعف فيه والجلد
وورد خديه والشقائق والتفاح والجلنار منتضد
رياض حسن زواهر أبدا * فيهن ماء النعيم مطرد
معشق الطرف كله كحل * معطل الجيد حليه الجيد
وغصن بان اذا بدا واذا * شدا فقمري بانة غرد

مهذب خلقه فلا عوج * فى بعض أخلاقه ولا أود
ما غاظنى ساعة ولا صخب * عمرى فى منزلى ولا حرد
مسامرى اذ دجا الظلام فلى * منه حديث كأنه شهد
خازن ما فى يدى وحافظه * فليس شئ لدى يفتقد
يصون كتبى فكلها حسن * يطوى ثيابى فكلها جدد
وحاجبى فالخفيف محتبس * عندى به والثقيل مطرد
وحافظ الدار ان ركبت فما * على غلام سواه أعتمد
ومنفق مشفق على اذا * بذرت وأسرفت فهو مقتصد
وأبصر الناس بالطبيخ فكالمسك القلايا والعنبر الثرد
وواجدبى من المحبة والراحة أضعاف ما به أجد
اذا تبسمت فهو مبتهج * وان تغيرت فهو مرتعد
ذا بعض أوصافه وقد بقيت * له صفات لم يحوها العدد

(باب ذم المماليك)

من أمثال العرب ليس عبدك بأخ لك ومنها الحر يعطى والعبد يألم قلبه ويقال الحر حر وان مسه ضر والعبد عبد وان كانت قلادته در ومن الامثال ما أطيب الغنا لولا العبيد والاما (وقال ابن مفرغ الحيرى)

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامة

وقال يزيد بن محمد المهلبى (شعر)

ان العبيد اذا أذللتهم صلحوا * على الهوان وان أكرمتهم فسدوا
ما عند عبدان يرجوه من فرج * ولا على العبد عند الخوف معتمد
فاجعل عبيدك أوتادا تشججها * لا يثبت البيت حتى يقرع الوتد

وقال بشار الحر يلحى أى يلام والعصا للعبد وقال سعيد بن محمد الطبرى

وان الحر فى الحالات حر * وان الذل يقرن بالعبيد

وقال المتنبى العبد ليس لحر صالح بأخ * لو أنه فى ثياب الحر مولود
لا تشترى العبد الا والعصا معه * ان العبيد لانجاس مناكيد

وسئل بعضهم عن غلام له فقال يأكل فرها ويعمل كرها (وقال ابن الرومى)

له خادم لا أزال أحسبه * يغيب حتى يرده سببه
نرسله لاشتراء فاكهة * فقصران تجتناك كتبه
كم قال ضيفي الأن بعثت به * هيهات يوم الحساب منقلبه
وخلته قد سما الى كرم رضوان لكي يجتني له عنبه
وانما زار مالك النار أي * زقوم صدق فنال ينتخبه
هل مشتر والسعيد بائعه * أو قابل والسعيد من يهبه
أضر بالمسلمين جانبه * لا كان من جالب ولا جلبه

ومثله قول راشد الكاتب في ذم غلام له قد باعه وكان اسمه نفيسا فسماه خسيسا

بعنا خسيسا فلم يحزن له أحد * وغاب عنا فغاب اللوم والنكد
أهون به خارجا من بين أظهرنا * لم نفتقده وكان الدار يفتقد
قد عريت من صنوف الخير خلقته * فلا رواء ولا عقل ولا جلد
يدعو الفحول الى ماتحت مئزره * دعاء من في استه النيران تتقد

وقال فيه أيضا

عرضنا خسيسا فاحتمى كل تاجر * شراه وأعيا بيعه كل دلال
فما في يديه خدمة يشترى لها * ولا عنده معنى يراد لحال
اذا لم يجد فيهم مقالا رماهمو * ببعض عيوب الناس في لزمن الخالي
وان حملوه سر أمر أذاعه * وكادهمو فيه كيادة مغتال
تريهم صروف الدهر من حقاته * أعاجيب لم تخطر بوهم ولا بال
وما بات في قوم يحبون قربه * فأصبح الا والحبيب له قالي
بلى ليس يخلو من معايب أهله * وان أصبحوا في ذروة الشرف العالي
ويحتال في استخراج مافي بيوتهم * بما قصرت عنه يدا كل محتال
ويعبث بالجيران حتى يعمهم * ويبرم أهل الدار بالقيل والقال
أقول وقد مروا به يعرضونه * الى النار فاذهب لا رجعت ولا مالي

﴿ باب مدح الخصيان ﴾

كان يقال الخصيان ملائكة بني آدم وقيل لابي العيناء لم اتخذت غلامين أسودين خصيين فقال اتخذتهما أسودين لئلا أتهم بهما وخصيين لئلا يتهما بي وعرض على

بعض الملوك غلام صبيح خصي فقال هـذا يصلح للفراش وا لهراش وكان بعضهم يتخذ الخدم الخصيان ويختار منهم البيض الحسان فقيل له في ذلك فقال لانهم بالنهار فوارس و بالليل عرائس وفيهم يقول الشاعر

هم نساء لمطمئن مقيم * ورجال ان كانت الاسفار

وفيهم يقول محمد بن المخلوع

مبرؤن من الشعر الكريه ومن * حمل الايور واخراج المناقين
وهم نساء اذا حاولت خلوتهم * وهم رجال لدى الهيجاء يحموني

((باب ذم الخصيان))

قال الجاحظ الخصي اذا قطعت خصيته قويت شهوته وسخنت معدته ولانت جلدته وانجردت شعرته واتسعت فقحته وكثرت غلمته وغزرت دمعته ويقال من جب زبه ذهب لبه وقال المتنبي في معناه

لقد كنت أحسب قبل الخصي بأن الرؤس مقر النهى
فلما نظرت الى عقله * رأيت النهى كلها في الخصى

((ومما يستظرف للعمارة قوله في خصي اسمه سنان كان يعشق جاريه))

ماللبغيض سنان * وللوجوه الملاح أليس زان خصي * غاز بغير سلاح

ووصف الجماز رجلا بالرعونة فقال مثله كمثل الخصي يسخن من زب مولاه ونظر خصي الى أقلف في الحمام فقال الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده فقال له الاقلف كل من له خصيتان له فضل عليك وأبلغ ماقيل في ذم الخصي قول بعض السلف لم يلده مؤمن ولم يلد مؤمنا

((باب مدح النبيذ))

قال كسرى النبيذ صابون الهم * ومن هذا أخذ الشيخ بدر الدين السبكى

وكنت اذا الحوادث دنستني * فزعت الى المدامة والنديم
لاغسل بالكؤس الهم عني * لان الراح صابون الهموم

وقال ارسطاطاليس الراح كيمياء الفرح

((ومن هنا أخذ ابن الوكيل))

وليست الكيمياء في غيرها وجدت * وكلما قيل في أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعود في الحال أفراحا وينقلب

وقال جالينوس الراح صديق الروح وقال آخر الراح درياق الهموم فأخذه ابن لوكيل فقال ان الذى جعل الهموم عقاربا * جعل المدام حقيقة درياقها
وقال عبد الملك بن صالح الهاشمى ما جشت الدنيا باظرف من النبيذ وقال فى المبهج لكل شئ سرور وسر النبيذ السرور * وفيه الدنيا معشوقة وريقها الراح وقال الجاحظ ان النبيذ اذا غشى فى أعضائك ودب فى أجزائك منحك صدق الحس وفراغ النفس وجعلك خلى الذرع نقى الطبع قرير العين منشرح الصدر حسن الظن صافى الذهن وسد عنك الغم وحسم عنك خاطر الهم وحسر عنك عارض السقم وهو الذى يرد الشيوخ الى طبائع الشبان والشبان الى طبائع الصبيان (شعر)

أعاذل ان شرب الراح رشد * لان الراح تأمر بالسماح
تقينا شح أنفسنا وذاكم * اذا ذكر الفلاح من الفلاح

وقيل لابن نعيم ما تقول فى النبيذ المصفى الصفق المروى المروق المعسل المعتق فجعل يتمطق ويقول أخاف أن لا أستقل بشكر الله على هذه النعمة الجزيلة الجليلة وكان مطيع بن اياس يقول ان فى النبيذ لمعنى فى الجنة لان الله تعالى يقول حكاية عن أهلها الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والخمر يذهب الحزن وقال أبو عثمان لو نطق النبيذ لشكر ابن الرومى على قوله فيه

والله ما أدرى لاية علة * فى الراح يدعوها الفتى بالراح
ألريحها من روحها تحت الحشا * أم لارتياح نديمها المرتاح

وقيل لابن عائشة القرشى ان فلانا لا يشرب النبيذ فقال ويله قد طلق الدنيا ثلاثا وقيل للاعمش مثل ذلك فقال دعوه يقتله القولنج وقيل للرقاشى لم أولعت بالشراب فقال لانه يقدح فى يدى نورا وفى قلبى سرورا وقال حسان بن ثابت

اذا ما الاشربات ذكرن يوما * فهن لطيب الراح الفداء
ونشربها فتتركنا ملوكا * وأسدا لا ينهنهنا اللقاء

(وقال غيره)

وان رضاع الكاس أعظم حرمة * وأوجب حقا من رضاع لبان

وقال آخر ما بيننا رحم الا ادارتها * والراح حرمتها أولى من الرحم

وقال المأمون أما ترى الدهر لا تفنى عجائبه * والدهر يخلط معسورا بميسور

وليس للهم الاشرب صافية * كأنها دمعة من عين مهجور

(وقال ابن الرومي)

خل الزمان اذا تقاعس او جمح * واشك الهموم الى المدامة والقدح
واحفظ فؤادك ان شربت ثلاثة * واحذر عليه أن يطير من الفرح
هذا دواء للهموم مجرب * فاسمع نصيحة حازم لك قد نصح
ودع الزمان فكم نصيح حازم * قد رام اصلاح الزمان فما صلح

(وقال هبة الله بن المنجم)

الراح في ابريقها * أحسن روح في جسد فهاتها نصلح بها * من الزمان ما فسد

(وللمؤلف الكتاب في صباه)

وعقار عيش من * عاقرها عيش أنيق فهي للانس نظام * والى اللهو طريق
وهي للارواح * أبدا نعم الصديق قلت لما لاح لي * منها شعاع وبريق
أشقيق أم عقيق * أم حريق أم رحيق

(باب ذم النبيذ)

في الحديث المرفوع جمع الشر كله في بيت وجعل مفتاحه الخمر (وفي) المبهج الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور (وعاتب) ابن الضحاك بن مزاحم صديقا له على شرب النبيذ فقال انما أشربه لانه يهضم الطعام فقال ما يهضم من دينك أكثر (وقيل) لبعض الحكماء اشرب معنا فقال أنا لا أشرب ما يشرب عقلي (وقيل) لبعضهم النبيذ كيمياء الطرب فقال نعم ولكنه داعية الحرب (وقال) آخر لابنه يا بني اياك والشراب فانه مفسدة للدين والمال (وأنشدني) أبو الفضل عبد الله بن أحمد

تركت النبيذ وشرابه * وصرت صديقا لمن عابه
شراب يضل طريق الهدى * ويفتح للشر أبوابه

(باب مدح الصبوح)

كان بعضهم يقول الشراب باكورة الحياة وبكر الشهوات والشرب في شباب النهار أقوى لاسباب الانس وأدعى لاطراب النفس وأجمع لشمل اللهو وآخذ لحظوظ الشهوة وقال آخر

ان شرب المدام سير الى اللهو * وخير المسير صدر النهار
(ولذلك) قال ابن المعتز * اسقنى الراح فى شباب النهار * وعلى طريقته قال العلوى الجانى ان صدر النهار أنضر شطاريه كأنضرة الفتى فى فتائه
(ولابن المعتز) مزدوجة تقع فى هذا الباب

لى صاحب قد لامنى وزادا * فى تركى الصبوح ثم عادا
قال ألا تشرب بالنهار * وفى ضياء الفجر والاسفار
اذا وشى بالليل صبح فافتضح * وذكر الطائر شجوا فصدح
ونفض الليل على الروض الندى * وحركت أغصانه ريح الصبا
وقال شرب الليل قد آذانا * وطمس العقول والاذهانا
ألا ترى البستان كيف نورا * ونشر المنثور بردا أصفرا
وضحك الورد الى الشقائق * واعتنق القطر اعتناق الوامق
فى روضة كحلل العروس * وزهرة كهامة الطاوس
وياسمين فى ذرى الاغصان * منتظم كقطع العقيان

وقال ابن الحجاج الصبح مثل البصير حالا * والليل فى صورة الضرير
فليت شعرى باى حال * يختار أعمى على بصير

(باب ذم الصبوح)

أحسن وأجمع ما قيل فى ذم الصبوح قول ابن المعتز فى المزدوجة

اسمع فانى للصبوح عائب * عندى من أخباره عجائب
اذا أردت الشرب قبل الفجر * والنجم فى لجة ليل يسرى
وكان برد النديم مرتعد * وريقه على الثنايا قد جمد
وللغلام ضجرة وهمهمه * وشتمة فى صدره مجمجمه
يمشى بلا رجل من النعاس * ويدفق الكاس على الجلاس
وان أحس من نديم صوتا * قال مجيبا لعنة وموتا
وان يكن للقوم ساق يعشق * فجفنه بجفنه مدبق
ورأسه كمثل روض قد مطر * وصدغه كالصولجان المنتشر
أعجل عن سواكه وزينته * وهيئة تنضر حسن صورته

يخدمهم بسبج محلول * ويحمل الكأس بلامنديل
وان طردت البرد بالستور * وجئت بالكانون والتنور
فاى فضل للصبوح يعرف * على الغبوق والظلام يسدف
وقد نسيت شرر الكانون * كأنه نثار ياسمين
وتركت البساط بعض الجهد * ذا نقط سود كجلد الفهد
حتى اذا ما ارتفعت شمس الضحى * قيل فلان وفلان قد أتى
وربما كان ثقيلا يحتشم * مطول الكلام حينا وختم
ورفع الريحان والنبيذ * وزال عنك عيشك اللذيذ
ولست فى طول النهار آمنا * من حادث لم يك قبل كائنا
أو خبر يكره أو كتاب * يقطع أنس اللهو والشراب
واسع الى مشارب الصبوح * فى الصيف قبل الطائر الصدوح
حين حلا النوم وطاب المضجع * وأنكر الحر ولذ المهجع
فقرب الزاد الى نيام * ألسنهم ثقيلة الكلام
ولامغنى عارض فى حلقه * ودمعة قد قدحت فى عينه
وان أردت الشرب بعد الفجر * والصيف قد سل سيوف الحر
فساعة ثم تجيك الدامغة * بنارها ولا تسوغ سائغة
ويسخن الشراب والمزاج * ويكثر الخلاف والضجاج
من معشر قد جرعوا الحميما * وأطعموا من زادهم سموما
وصار ريحان لهم كالقت * وكلهم لكلهم ذو مقت
وبعضهم عند ارتفاع الشمس * يحس جوعا مؤلما للنفس
وان دعى الساقى بالطعام * خيط جفنيه على المنام
لم يأتف الادنس الاثواب * مهوسا يسيء للاصحاب
ذا شارب وظفر طويل * ينفض الزاد على الاكليل
ومقلة مبيضة المآق * وأذن كحقة الدرياق
وجسد عليه جلد من وسخ * كأنه شرب نفطا أو لطخ
هذا كذا وما تركت أكثر * فجربوا ما قلته وفكروا

وله أيضا
لا تدعني لصبوح * ان الغبوق حبيبي
فالليل لون شبابي * والصبح لون مشيبي

ولبعضهم
الوجه مثل الصبح مبيض * والشعر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسنا * والضد يظهر حسنه الضد

وللبستي
بدا لي في الصبا لما بدا لي * نهار الشيب في ليل القذال
كأن الشعر شرب كان صفوا * فشابته الليالي بالقذالي

((باب مدح السماع))

قال بعض الفلاسفة أمهات لذات الدنيا أربع لذة الطعام ولذة الشراب ولذة النكاح ولذة السماع فاللذات الثلاث لا وصول الى كل الا بحركة وتعب ومشقة ونصب ولها مضار اذا استكثر منها وأما لذة السماع قلت أو كثرت صافية من التعب خالصة من النصب خالية من الوصب (وقد) نظم ذلك من قال

وجدت رئيسة اللذا * ت أربعة متى تحسب * فمنها لذة المنكح *
والمطعم والمشرب * وتبقى بعدها أخرى * من الصوت الذي يطرب
وهذي قد تفيد النفس ايهابا ولا تنصب
ومامن لذة من تلك الا وهي قد تتعب

(قال) مؤلف الكتاب ومن خصائص السماع انه لا يعجزه ولا يحجبه شيء وان الجمع بينه وبين كل عمل ممكن وان الابل والخيل تستطيبه وترقص عليه والصبيان الرضع تستلذه وتسكن اليه والوحوش والطيور تسكن الى فائقه وتعرج عليه (وكان) بعض فقهاء المتكلمين يقول قد اختلف الناس في السماع فاباحه قوم وحظره آخرون وأنا أخالف الفريقين فاقول انه واجب لكثرة منافعه ومرافقه وحاجة الناس اليه وحسن أثر استماعها به (وكان) عبد الله بن جعفر يقول اني لاجد للسماع أريحية لو سئلت عندها أعطيت ولو قاتلت أبليت وسمع معاوية عند عبد الله بن جعفر الغناء فحرك رأسه ورجليه وصفق بيديه ثم لما أناب رأيه اليه قال كالمعتذر منه ان الكريم طروب ولا خير فيمن لا يطرب (وكان) مروان بن أبي حفصة اذا تغدى عند اسحق الموصلي يقول له أطعموا آذاننا رحمكم الله (وكان) يحيى بن خالد البرمكي يقول خير الغناء ما أشجاك وأبكاك وأطربك وألهاك (ويقال) ان الغناء غذاء الروح

كما أن الطعام والشراب غذاء البدن ومن أحسن ما قيل فى الغناء قول بعضهم

غنت فلم تبق فى جارحة * الا تمنيت انها أذن

﴿ باب ذم السماع ﴾

قال الحطيئة لقوم نزل بهم جنبوا مجلسنا الغناء فانه رقية الزنا (وسمع) سليمان بن عبد الملك ذات ليلة فى معسكره غناء فامر بصاحبه أن يخصى ثم قال ان الفرس ليصهل فيستودق الرمكة وان الجمل ليرغو فتستضبع له الناقة وان الرجل ليغنى فتغتلم له المرأة (وكان) الكندى يقول لابنه اياك والسماع فانه برسام حاد وذلك ان المرء يسمع فيطرب ويطرب فيسمح ويسمح فيعطى ويعطى فيفتقر ويفتقر فيهتم ويهتم فيمرض ويمرض فيموت (وكتب) البديع فى رقعة الى تلميذ له توفى أبوه وخلف مالا يامولاى ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا والعاقل فقرا بل وقرا وذلك الخارج من الناى هو اليوم فى الآذان زمر وغدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعة والقنطار فى هذا العمل بضاعة (وطلب) بعض المغنين جائزة من بعض المخلصين فقال المسؤل له اعلم ان المال روح والغناء ريح ولست أشترى الريح بالروح (ونظمه) الشيخ الامام فقال

ألا ان الغناء للمرء روح * وان غناء فى الآذان ريح

ومايحصل عقلا ودينا * ليذهب منه بين الريح روح

﴿ باب مدح الزجاج ﴾

(مدح) سهل بن هارون الزجاج ووصفه فى بعض مجالس الملوك فقال الذهب مخلوق والزجاج مصنوع وفضيلة الذهب بالصلابة وفضيلة الزجاج بالصفاء ثم ان الزجاج أبقى على الدفن وهو مجلو نورى والذهب متاع ساتر والشراب فى الزجاج أحسن منه فى كل جوهر ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل فى اليد ولا يرتفع فى السوم وقدور الزجاج أطيب من قدور الحجارة وهى لا تصدأ وان اتسخت فالماء وحده لها جلاء ومتى غسلت بالصابون صارت جددا والزجاج أشبه شئ بالماء وصنعته عجيبة وصفته غريبة وصياغته أغرب وأعجب ومن كرع فيه اشرب بماء فكانما شرب فى اناء من ماء وهواء وضياء ومرآته المركبة فى الحائط أضوأ من مرآة الفولاذ والصور فيها أبين وقد تقدح النار من قنينية الزجاج اذا كان فيها ماء محاذ عين الشمس لان طبع الزجاج والماء

والهواء والشمس من عنصر واحد وليس فى كل مايدور الفلك عليه جوهر أقبل لكل صبغ واجدر أن لا يفارقه منه حتى كان ذلك الصبغ جوهره ومتى سقط عليه ضياء أنفذه الى الجانب الآخر وأعاره لونه وان كان الجام ذا ألوان أرك بياض البيت أحسن من وشي صنعاء ومن ديباج تستر ولم يتخذ الناس آنية أجمع لما يريدون منه وقال الله تعالى عز ذكره قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير وقال عز ذكره وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا واشتق الفضة من اسمها على ان الزجاج أقطع من السيف وأحد من الموسى واذا وقع المصباح على جوهر الزجاج صار مصباحا آخر ورد كل واحد منهما الضياء على صاحبه واعتبر واذلك الشعاع الذى على وجه الماء وعلى الزجاج ثم انظروا كيف يتضاعف نوره حتى يكاد يغشى عين الناظر اليه قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا عب فى الاناء كلحت فى وجهه مردة الجن والشياطين فعلمه الله صنعة الزجاج

(باب ذم الزجاج)

أحسن ماذم به الزجاج قول النظام فانه أخرجه فى كلمتين بأوجز لفظ وأتم معنى فقال يسرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر ومن هنا قال الشاعر

احرص على حفظ القلوب من الاذى * فرجوعها بعد التنافر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

وقال آخر وهشيم الزجاج أرجى صلاحا * من فساد القلوب بعد الصلاح

(قال مؤلف الكتاب) ليس الزجاج من حسن المتاع وهو على مدرجة الهلاك والضياع لان الآفات ترفرف عليه والعاهات تسارع اليه وكلما كان أثمن وأقوم كان الخطر فيه أشد وأعظم وما احتاط على ماله من غالى به وأسرف فى ثمنه * وكتب مروان بن محمد الى بعض الخوارج انى واياك كالحجر والزجاجة ان وقع عليها رضها وان وقعت عليه فضها وكما قال الشاعر

وآلت عينا كالزجاج رقيقة * وما حلفت الا التحنث من أجلى

وقال السرى يعاتب صديقا له على سر أذاعه

سر لديك كاسرار الزجاجة لا * يخفى على العين منها الصفو والكدر

فاحذرمن السركسر الانجبارله * فالزجاجـة كسرليس بنجبر
وقال ابن علان النهر وانى للزجاج النحوى
لك عهد قدجبرنا * ه فأعيتنا صدوعه فاذاودك مما * كنت بالامس تبيعه

(باب مدح الذهب)

(قال) شداد الحارثى الذهب أبقى الجواهر على الدفن وأصبرها على الماء وأقلها نقصانا على النار وهو أوزن من كل شئ اذا كان فى مقدار شخصه وجميع جواهر الارض اذا وضع على الزئبق فى انائه طفا ولو كان ذا وزن ثقيل وحجم عظيم ولو وضعت عليـه قيراطا من الذهب لرسب حتى يضرب قعر الاناء ولا يجوز ولا يصلح أن تشـد الاسنان المنتزعة بغيره ولا يوضع فى مكان الانوف المصطلمة سواه وميله أجود الاميال وأهل الهند تهزه فى العين بلا كحل ولا ذرور لاصـلاح طبعه وموافقـة جوهره لجوهر الناظرين وله حسن وبهاء فى العيون وحلاوة فى الصدور ومنه الزريابات والصفائح التى تكون فى سقوف الملوك وعليه مدار التبابـع منذ الزمان الاول والدهر الاطول وهو ثمن لكل شئ وهو فوق الفضة مع حسنها وكرمها بأضعاف وأضعاف أضـعاف والارض التى تنبته وبسلم عليها تحيل الفضة الى جوهرها فى السنين اليسـيرة والمدة القصيرة وتقلب الحديد الى طبعها فى الايام القليلة والاوقات الضـئيلة والطبيخ الذى يكون فى قدره أغذى وأمرأ وأصح فى الجوف وأطيب (وسئل) أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه عن الكبريت الاحمر فقال هو الذهب وقال النبى صلى الله عليـه وسلم لو أن لى طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع فاجراه فى ضرب المثل به كل مجرى وقال الله تعالى حكاية عن شأن الكفار ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به فدل على عزته وعظم قدره وقال أبو زيد البلخى معلوم أنه ليس من الجواهر الموجودة فى العالم أطول بقاء من الذهب لما يرى من انقضاء الزمان بدون فساد يعرض عليـه حتى ان العامة لتحكم بانه جوهر لافساد فيه البتة واغاخص بهذا البقاء الطويل وابطاء آفات التغير بسبب اعتدال مزاجه فى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فان كل ماخرج من الاشـياء المركبة عن الاعتدال الى افراط كيفية من الكيفيات الاربع أسرع اليه الفساد لغلبـة تلك الكيفية ولذلك الفساد الذى هو ضد الكون سببه الخروج عن الاعتدال ولصحـة

مزاجه لم يوجد فيه صدأ كغيره من الجواهر والسهولة التى فيه لم توجد فى غيره اذ كل ماعداه يكسب الاطعمة والاشربة المجعولة فيــه نوعا من فساد الطعم والرائحــة وكل ماأكل وشرب فيه وجد سليما من هذا العارض ولذلك اختار الملوك العظماء الاكل والشرب فيه ووعد الله عباده به فى دار الثواب فقال سبحانه يطاف عليهم بصحاف من ذهب كما قال فى باب الحليــة والزينة جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب وذلك لما كانت العادة به من متنعمى الملوك فى هذه الدنيا بأن يحلوا أعضاءهم الشريفة بالذهب وكذلك شأنهم اذا بالغوا فى اكرام من يقفون منه على بلاء عظيم فى الحرب والدفاع عن حوزة الملك والجلالة قدره ماحكى الله عز اسمه فى قصة موسى عن فرعون فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب * ومن أحســن ماقيل فى وصف الذهب قول قدامة حكيم المشرق الذهب نسيم مركوم وشعاع معــقود فأتى بغلة عجيبة حيث ذكر انه شعاع الشمس وقد انعقد فصار جامدا * وفى المبهج الذهب خير مال حاضر لباد أو حاضر (وقال أيضا) من ملك الصفر والبيض ابيض وجهه واخضر عيشــه واسود وجه عدوه

﴿ باب ذم الذهب ﴾

قال سهل بن هرون الذهب اسم يتطير منه ولا يتفاءل به ومن لؤمه اسراعه الى بيوت اللئام وابطاؤه عن بيوت الكرام (المتنبى فى معناه)

شبيه الشئ منجذب اليــه * وأشــبهنا بدنيانا الطغام
وما أنا منهم بالعيش راض * ولكن معدن الذهب الرغام

والذهب فتان لمن أصابه ويقال الذهب من مصائد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران وقلت فى المبهج ماأسرع ذهاب الذهب وانفضاض الفضة

﴿ باب مدح الشطرنج ﴾

أحسن مافيه قول ابن المعتز

ياعائب الشطرنج من جهله * وليس فى الشطرنج من باس
فى فهــمها علم وفى لعبها * شــغل عــن الغيبــة للناس
وتذهل العاشق عن عشقه * وصاحب الكاس عن الكاس
وصاحب الحرب بتدبيرها * يزداد فى الشــدة والباس
وأهلها فى حســن آدابهم * من خير أصحاب وجــلاس

وقال ابن الرومي في معناه يمدح الشطرنج والنديم أحسن

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها * عواقب لا تسمو بها عين جاهل
وأجدى على السلطان في ذاك أنه * يريد بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته * مثال لتصريف القنا والقنابل
تأمل بها في دقائق هزله * تجده بها في الخطوب الجلائل

(وسئل) محمد المزني عن المتلاعبين بالشطرنج فقال اذا سلمت أيديهما من الضرب والخسران وألسنتهما من الفحش والعدوان وصلاتهما من السهو والنسيان كانت أدبا بين الاخوان والخلان * وكان المأمون يقول عجبت من ذراع في ذراع يديرها العقلاء منذ دهر طويل فلم يقفوا لها على غاية (وكان) سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول ما وضع هذا الشطرنج الا لامر عظيم

(باب ذم الشطرنج)

ذكر الصولي في كتاب شعراء مصر أن الخراساني الشاعر كان حاذقا بلعب الشطرنج فعابها الحسين بن محمد مكايدة له فقال صاحبها أبدا مشغول مهموم يحلف بالله كاذبا ويعتذر مبطلا ويشتم نفسه ويضطر به وكل صناعة لا تجوز المكابرة فيها غيرها فان صاحبها يغلب في ساعة فتنقضي دعواه وهي لعب الصائم اذا جاع والعامل اذا عزل والمحموم حتى يفيق واغاهي خشب يحزم خشبا ولعب أورث من غير طائل تعبا ثم ان الرجل ليسأل عن غلامه فيقال هو يلعب فيضربه ولا يستحي أن يقول تعالوا حتى نلعب الشطرنج وأنت تقول في الكناسي ما أحذقه وفي الطنبوري ما أضربه فاذا عبرت عن الشطرنجي قلت ما ألعبه فما تقول في العبارة عن صناعة الكناس أحسن من العبارة عن صاحبها * وفي كتاب يتيمة الدهر لمؤلف هذا الكتاب ان أبا القاسم الكسروي كان يبغض الشطرنج ويذمها ولا يقارب من يشتغل بها ويطنب في ذكر عيوبها ويقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا دنيا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج فاذا أجرى شيء منها قيل جاء الزمهرير ولا يتمثل بها الا فيما يعاب ويكره فاذا أخذت الشلزان قيل قد فرزنت واذا كان مع الغلام الصبيح رقيب ثقيل قيل معه فرزن بند واذا استحقر قدر الانسان قيل كانه بيدق الشطرنج واذا رؤي طفيلي يكثر الاكل على المائدة ويسيء الادب في المؤاكلة قيل النظر الى يد هذا

الكشخان كالرخ فى الرقعة واذا رؤى زيادة لايحتاج اليها قيل زيد فى الشطرنج بغل واذا سب رجل ساقط المروءة قيل من أنت فى الرقعة واذا ذكر وضيع ارتفع قيل متى تفرزنت يابيدق

﴿ باب مدح النرجس ﴾

قال جالينوس من كان له رغيفان فليجعل أحدهما فى ثمن النرجس لان الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح (وكان) أنوشروان ينظر الى النرجس و يشبهه بالعيون و يقول انى لاستحى أن أجامع فى بيت فيه نرجس (وكان) الحسن بن سهل يقول من أدمن شم النرجس فى الشتاء أمن من البرسام فى الصيف (ووصف) بعض البلغاء النرجس فقال كان عينه عين و ورقه ورق وساقه ذمرذ * وقد اكثر الشعراء فى وصفه فقال أبو نواس

تأمل فى نبات الارض وانظر * الى آثار ماصنع المليك
عيون من لجين شاخصات * بابصارهى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات * بان الله ليس له شريك

ولبعضهم ياصاح ان وافيت روضة نرجس * اياك فيها المشى فهو محرم
حاكت عيون معذبى بذبولها * ولاجل عين ألف عين تكرم

وابن الرومى فضله على الورد بقوله

خجلت خدود الورد من تفضيله * خجلا توردها عليها شاهد
لم يخجل الورد المورد لونه * الا وناحله الفضيلة عاند
للنرجس الفضل المبين وان أبى * آب وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية أن هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
وان احتفظت عليه أمتع صاحب * وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بعقلك فى الملاح سميه * أبدا فانك لامحالة واجد
والوردات فتشت فى أسمائه * مافى الملاح له سمى واحد
هذى الزهور هى التى قدربيت * بيد السحاب كما ربى الوالد
فانظر الى الاخوين من أدناهما * شبها بوالده فذاك الماجد
أين الخدود من العيون نفاسة * ورياسة لولا القياس البارد

﴿ وله أيضا فيه ﴾

أرى حسن هذا النرجس الغض مخبرا * عن الله أن ليس النبيذ محرما

(باب ذم النرجس)

لما فضل ابن الرومي النرجس على الورد تصدى له الشعراء بالمناقضة والمعارضة فقال ابن الحاجب

ياذا الذي للحق ظل يعاند * وقد استبان له الطريق القاصد
قايست نرجسك الذي فضلته * بالورد يا هذا قياسك فاسد
وعدلت عن عدل الحكومة جائرا * بقضية فيها عليك أواجد
وجعلت أصلك أن هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
والنرجس البادي وليس مفضلا * والو رد بعد النور أجمع وارد
واذا الجيوش تتابعت في موكب * فبآخرها يجيء القائد
وأجل من عين يشين بياضها * لون من اليرقان أصفر بارد
خد توردلونه لنعيه * فعليه من خلع الربيع مجاسد
والورد ساق مستقر أصله * والنرجس المضفوف غصن مائد
فتأمل الاثنين أيهما رست * اعراق منصبه فذاك الماجد
ما أخر الورد الخطير مقدما * للنرجس المرذول الا حاسد

(وقال أبو العلاء السروي)

انظر الى نرجس تبدت * صحاالعينيك منه طاقه * وا كتب أسامي مشبهيه
بالعين في دفتر الحماقة * وأي حسن يرى لطرف * مع يرقان يحل ماقه
كرونة ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

(وقال آخر) قد أجاد الورد حجته * في مقال غير ذي خطل
قال لي أبصرت نرجسة * غضة في كف ذي غزل
فهي تحكي عين ذي مرض * بقطع الايام بالعلل

(باب مدح الورد)

قال ابن سكرة الهاشمي للورد عندي محل * لانه لا عمل *
كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل

(ولآخر) كتب الورد الينا * في قراطيس الخدود

يابنى الصهباصلونى * قددنا وقت الورود

(وقال أبو الفرج الببغا)

زمن الورد أظرف الازمان * وأوان الربيع خير أوان

أشرف الزهر زاد فى أشرف الدهر فضل فيه أشرف الفتيان

وممهدى بغير واحد من الفضلاء يستظرف قول ابن أبى البغل

تمتع من الورد القليل بقاؤه * كأنك لم يفعال الافناؤه

و ودعه بالتقبيل والشم والبكا * وداع حبيب لا يطول بقاؤه

ومما يدخل على الاذن بلا اذن قول على بن الجهم

زائر يهدى الينا * نفسه فى كل عام * حسن الوجه زكى الـ

ـريح الف للمدام * عمره خمسون يوما * ثم يمضى بسلام

وقوله ما أخطأ الورد منك شيأ * حسنا وطيبا ولا ملالا

أقام حتى اذا أنسنا * بقربه أسرع انتقالا

(وقال) مؤلف الكتاب فى المبهج اذا وردالورد صدر البرد

(باب ذم الورد)

كان ابن الرومى يذم الورد و يهجنه لانه كان يزكم من رائحته وقد قال فى ذمه وهو من نوادر التشبيه

وقائل لم هجرت الورد مقتبلا * فقلت من قبحه عندى ومن سخطه

كأنه سرم بغل حين أخرجه * عند البراز و باقى الروث فى وسطه

(ولغيره) النرجس الغض لربات الغنج * والورد من شم رعاع وهمج

أما تراه حين يبدو طالعا * كأنه سرم حمار قد خرج

و بلغنى أن الامير خلف بن أحمد كان ينشد كثيرا قول البستى

لا يغررنك انى لين بالمس لانى اذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم * ثم فيه لآخرين زكام

(باب مدح الشتاء)

أحسن ما قيل فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه وقد أحسن أبو تمام فى قوله

ان الشتاء على سآمة وجهه * لهو المفيد طلاوة المصطاف

وقال آخر لولا الذى غرس الشتاء بكفه * قاسى المصيف هشائماً لا تثمر

وقال آخر خضرة الصيف من بياض الشتاء * وابتسام الثرى بكاء السماء

(وقال مؤلف الكتاب) ومن محاسن الشتاء طول الليل الذى جعله الله سكنا ولباسا وبرد الماء الذى هو مادة الحياة وانقطاع الذباب والبعوض وعدم ذوات السموم من الهوام وأمنها على الطعام والاجسام وهو حبيب الملوك وأليف المتنعمين يطيب لهم فيه الاكل والشرب ويجتمع فيه الشمل ويظهر فيه فضل الغنى على الفقير وهو زمان الراحة كما أن الصيف زمان الكد ولذلك قالوا من لم يغل دماغه صائفا لم تغل قدوره شاتيا كما قيل

وان الذى لم يغل صيفا دماغه * وجدك لا تغلى شتاء قدوره

كذلك مقسوم المعايش فى الورى * بسعى ورعى تستبين أموره

(ومدح) بعض الدهاقين الشتاء فقال آكل فيه ماجعت وأستمتع بما ادخرت وأى شئ أحسن من كانونى فى كانونى ومن لبس الخز والسمور والقعود فى الطوارم مع الاحباب وتناول الدراج والكباب والاستظهار على البرد بالشراب والشرب على الثلج يثلج الصدر وقال بعض الكتاب

ليت الشتاء يعود لى بنعيمه * ان الشتاء غنيمة الكتاب

قصر النهار وطول ليل ممتع * فيه نلذ بقينة وشراب

(باب ذم الشتاء)

أحسن ماقيل فى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم احذروا البرد فانه قتل أخاكم أبا الدرداء قال بعض السلف الشتاء عدو الدين وهلاك المساكين * وفى الخبر الحر يؤذى والبرد يقتل وقال الجاحظ الشتاء عند الناس هو الكلب الكلب والعدو الحاضر يتأهب له كما يتأهب للعيش ويستعد له كما يستعد للعرق والغرق * وقال مؤلف الكتاب الشتاء عذاب وبلاء وعقاب ولأواء يغلظ فيه الهواء ويقشعر له الماء وتحصر الفقراء وماظنك بمايزوى الوجوه ويعمش العينين ويسيل الانوف ويغير الالوان ويقشف الابدان ويميت كثيرا من الحيوان فكم فيه من يوم أرضه كالقوارير اللامعة وهواؤه كالزنابير اللاسعة وليل يحول بين الكلب وهريره

والاسد وزئيره والطير وصفيره والماء وخريره وقال آخر نحن في الشتاء بين لثق و زلق ودمق وقال الشيخ الامام رحمه الله تعالى

نحن في شتو تنائى قلق * وغوادى شفق في فرق
ليس يخلو يومنا والليل من * لثق أو زلق أو دمق

(باب مدح الصيف)

يقال الصيف خفيف المؤنه جليل المعونه كثير النفع قليل الضرر وهو أم الحب والرياحين و بنات البساتين وراحة الفقراء والمساكين وستر الضعفاء والمتحملين والعون على عبادة رب العالمين وطبعه طبع الشباب الذى هو باكورة الحياة كما أن الشتاء طبعه الهرم الذى هو باكورة العدم

(باب ذم الصيف)

فى الحديث المرفوع شدة الحر من فيح جهنم وقلت فى المبهج حر الصيف كحد السيف وقلت أيضا رب يوم هواؤه يتلظى * فهو يحكى فؤاد صب متيم
قلت اذ خدش حره وجه وجهى * ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

(وكتب) بعض الكتاب الى بعضهم أشكو الى مولاى صيفا لا يطيب معه عيش ولا ينفع به ثلج ولا خيش (وكتب آخر) كيف لى بالحركة وقد قوى سلطان الحر وفرش بساط الجمر لاسيما فى الهاجرة التى هى كقلب المهجور والتنور المسجور (وكتب آخر) لا مرحبا بالصيف من ضيف فهو عون على الحيات والعقارب وأم الذباب والخنافس وظئر البق الذى هو آفة الخلق ثم قال فيه

من كل سائلة الخرطوم طاغية * لا يحجب السجف مسراها ولا الكلل
طافوا علينا وحر الصيف يطبخنا * حتى اذا نضجت أجسامنا أكلوا

(باب مدح المطر)

قال الله تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته يعنى المطر وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكشف رأسه للمطر تعرضا لرحمة الله تعالى وقال عز وجل وأنزلنا من السماء ماء طهورا وقال سبحانه وتعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا * وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول من كان له داء قديم فليستوهب امرأته درهما من مهرها وليشتر به عسلا و يشربه بماء السماء ليكون قد اجتمع له الهنيء والمريء

والشفاء والمبارك وهو مأخوذ من قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وقوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقول المطر بعل الارض يعنى أنه يلقحها ومنه أخذ ابن المعتز قوله

ومزنة مشعلة البوارق * تبكى على الارض بكاء العاشق

تلقح بالقطر بطون الثرى * والقطر بعل التربة العاتق

(وقال بعض البلغاء) مرحبا بالغيث الذى أغاث الانام وأروى الهضاب والآكام وأحيا النبات والسوام وقال آخر يا فرحتا بالغيث الذى أحيا الورى وروى الثرى ونبه عيون النور من الكرى وقال أبو تمام

غيث أتانا مؤذنا بخفض * قضت به السماء حق الارض * يمضى ويبقى نعمالا تمضى

وقال أحمد بن أبى طاهر

وعارض مبتسم قد استهل * ومد أطناب الغمام وأطل

حتى اذا أثرى الثرى من وبله * واخصب الجدب تولى وارتحل

كم أنزل الله به من رحمة * ومن حياة بحياه اذ نزل

(وقال مؤلف الكتاب)

أتى هذا النثار على نظام * وجاء الخير اذ جاد الغمام

فللوسمى فى أرضى بكاء * وللزرع ابتهاج وابتسام

(باب ذم المطر)

كان يقال المطر مفسد الميعاد ويقال الغيث لا يخلو من العيث وقلت فى المبهج قد عاقت الامطار عن الاوطار وحالت الاوحال عن الوصال وقال أبو نواس

هو الغيث الا أنه باتصاله * اذا ليس قول الله فيه بباطل

لئن كان أحيا كل رطب ويابس * لقد حبس الاحباب وسط المنازل

وقال أبو على البصير

من تكن هذه لسماء عليه * نعمة أو يكن بها مسرورا

فلقد أصبحت علينا عذابا * ولقينا منها أذى وشرورا

صيرت منزلى خرابا ومن عا * داتها أن تخرب المعمورا

أيها الغيث كنت بؤساً وفقراً * لي وللناس حنطة وشعيرا

وقال أيضاً رحمة صيرت على عذابا * تركت منزلي خراباً يبابا

لم تدع لي بها ولا العيالي * سقف بيت يكف عني السحابا

(وقال ابن المعتز)

روينا فما نزداد يارب من حيا * وأنت على ما في النفوس شهيد

سقوف بيوتي صرن أرضاً أدوسها * وحيطان داري ركع وسجود

(باب مدح القمر)

(قال مؤلف الكتاب) القمر هو نور الله عز وجل وأحد النيرين وهو الذي يجعل الليل نهاراً وبه يشبه كل وجه حسن ويتمثل به في كل خير (وفيما يقول الناس) من حكاياتهم أن اعرابياً نام ليلة عن جمله ففقده فلما طلع القمر وجده فرفع الى الله يديه وقال أشهد أنك قد أعليته وجعلت السماء بيته ثم نظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دوّرك واذا شاء قورك ولو شاء كورك فلا أعلم مزيداً أسأله لك فلئن أهديت الى قلبي سروراً لقد أهدى الله اليك نوراً ثم أنشد يقول

ماذا أقول وفيك القول ذو خطل * كفيتني فيك ذا التفصيل والجلا

ان قلت لازلت عالياً فأنت كذا * أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا

(باب ذم القمر)

أبلغ ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعض الظرفاء الادباء ممن يسكن الدار بكراء وقد قيل له انظر الى القمر ما أحسنه فقال والله ما أنظر اليه لبغضي فيه قيل ولم ذلك قال لان فيه عيوباً لو كانت في حمار لرد بالعيب قيل وما هي قال مما يصدقه العيان ويشهد به الاثر فانه يهدم العمر ويقرب الاجل ويحل الدين ويوجب كراء المنزل ويقرض الكتان ويغير الالوان ويسخن الماء ويفسد اللحم ويورث الزكام ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق وقال ابن المعتز فيه

ياسارق الانوار من شمس الضحى * ما مثل نورك في الدجا منغصي

أما ضياء الشمس فيك فناقص * وأرى زيادة حرها لم ينقص

لم يظفر التشبيه منك بطائل * متسلخ بهقا كوجه الابرص

(باب مدح السفر)

قدمدح الله تعالى المسافرين فقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وأمر جل اسمه بالسفر فقال فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقال جل وعلا هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور (وفي الخبر) سافروا تغنموا وتصحوا وفي رواية تصحوا وتغنموا وفي التوراة ابن آدم جدد سفرا أجدد لك رزقا (ولبعضهم)

فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ولا ترض من عيش بدون ولا تنم * وكيف ينام الليل من كان معسرا

وقول العامة كلب جوال خير من أسد رابض (ولبعضهم)

أدور من المعالي منتهاها * ولا أرضى بمنزلة دنيه

فاما نيل غاية ما أرجي * واما أن توسدني المنيه

(ولآخر) ان كنت ترضى بالدنية منزلا * فالارض حيث حللتها لك منزل

فاذا عزمت على المعالي فاخترط * عزما كما عزم الرجال النزل

وقال آخر واذا الديار تنكرت عن حالها * فدع الديار وسارع التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا

واذا بكيت على زمان قد مضى * حتى يعود لتبكين طويلا

(وقال أحد الحكماء) السفر أحد أسباب المعاش التي بها قوامه ونظامه لان الله تعالى لم يجمع منافع الدنيا في أرض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض ومن فضله أن صاحبه يرى من عجائب الامصار وبدائع الاقطار ومحاسن الآثار ما يزيده علما ويفيده فهما بقدرة الله وحكمته ويدعوه الى شكر نعمته ويسمع العجائب ويكسب التجارب ويفتح المذاهب ويجلب المكاسب ويشد الابدان وينشط الكسلان ويسلي الاحزان ويطرد الاسقام ويشهي الطعام ويحط سورة الكبر ويبعث على طلب الذكر وقال حاتم طي

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم * عماة عن الاخبار خرق المكاسب

(وقال ابن المعتز) أشقى من المسافر الى الامل من قعد في الناس عن العمل وقال غيره

ليس ارتحالك تزداد الغنى سفرا * بل المقام على بؤس هو السفر

(وفى المبهج) من آثر السفر على القعود فلا يبعد أن يعود مورق العود (وفيه) ربما أسفر السفر عن النظر وتعذر فى الوطن قضاء الوطر

(باب ذم السفر)

فى الحديث المرفوع ان المسافر ومتاعه على قلت الاما وقى الله * وقيل لبعض الحكماء ان السفر قطعة من العذاب فقال لا بل العذاب قطعة من السفر ونظمه من قال

ان العذاب قطعة من السفر * يارب فارددنى الى ربق الحضر

وكان الحجاج يقول لولا فرحة الاياب لما عذبت أعدائى الا بالسفر وكان بعض الحكماء يقول السفر والسقم والقتال ثلاثة لثلاث السفر سفينة الاذى والسقم حريق الجسد والقتال ينبت المنايا (وقيل) السفر متعب مكرب والحديث يقصره ويسلى كربه (وكان يقال) طول السفر ملالة وكثرة المنى ضلالة * وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتعوذ من وعثاء السفر ويقال خمسة يعذرون على سوء الخلق المريض والمسافر والصائم والمصاب والشيخ (وفى المبهج) رب سفر كتصحيفه أردت رب سفر كسقر

(باب مدح الغربة)

من أحسن ماقيل فى ذلك قول البرقعى

اذا النار ضاق بها زندها * ففسحتها فى فراق الزناد
اذا صارم قر فى غمده * حوى غيره الفضل يوم الجلاد
وفى الاضطراب وفى الاغتراب * منال المنى وبلوغ المراد

وكان يقال ليس بينك وبين بلدك نسب فخير البلاد ما حملك * وقال بعض الحكماء اهجر وطنك اذا نبت عنه نفسك وأوحش أهلك اذا كان فى ايحاشهم أنسك

وقال آخر فلان تشرق أو تغرب طالبا * وتكون فى الاقبال والادبار
خير وأكرم بالفتى من عيشة * ضنك يقوم بها على اقتار

وكان سهل بن مروان يقول لست ممن يقطع نفسه بصلة وطنه * ومن مشهور ما ينشد قوله لا يمنعك خفض العيش فى دعة * نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا باهل وجيرانا بجيران

(وقال آخر) الفقر فى أوطاننا غربة * والمال فى الغربة أوطان
والارض شئ كله واحد * ويخلف الجيران جيران

وقال غيره اذا نلت في أرض معاشا وثروة * فلا تكثرن فيها النزوع الى الوطن
فما هي الا بلدة مثل بلدة * وخيرهما ما كان عونا على الزمن
ولابي فراس والمرء ليس ببالغ في أرضه * كالصقر ليس بصائد في وكره
وقال الطريفي أرى وطني كعش لي وكن * أسافر عنه في طلب المعاش
ولولا أن كسب القوت فرض * لما برح الفراخ من العشاش
(وللبستي) لئن تنقلت من دار الى دار * وصرت بعد ثواء رهن أسفار
. فالحر حر عزيز النفس حيث أتى * والشمس في كل برج ذات أنوار

(باب ذم الغربة)

(كان يقال) النقلة مثلة والغربة كربة والفرقة حرقة (وقال بعض الحكماء) الغريب كالغرس الذي زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يزهر وذابل لا يثمر ويقال الغريب كالوحش النائي عن وطنه فهو لكل رام رمية ولكل سبع فريسة (وقال آخر) الغريب كاليتيم الفطيم الذي ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا أب يرأف عليه ويقال عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك (ونظمه من قال)

لقرب الدار في الاقتار خير * من العيش الموسع في اغتراب

(وكان يقال) اذا كنت في بلد غيرك فلا تنس نصيبك من الذل ولبعضهم

يا نفس ويحك في التغرب ذلة * فتجرعي كأس الاذى وهوان
واذا نزلت بدار قوم دارهم * فلهم عليك تعزز الاوطان

وقال آخر ما من غريب وان أبدى مكابدة * الا تذكر بعد الغربة الوطنا
(وقال النابغة) خلي في ديارك ان قوما * متى يدعوا ديارهم يهونوا

(وقال الاعشى)

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى * ملوما ومظلوما مجرا ومخسبا
وتدفن منه الصالحات وان يسئ * يكن ما أساء كالنار في رأس كوكبا
(وقال آخر) ومن يأمن عن دار العشيرة لم يزل * عليه رعود جمة وبروق

(وقال العتابي)

فيا ابن أبي لا تغترب ان غربتي * سقتني بكف الضيم ماء الحناظل
(وقال آخر) وان اغتراب المرء من غير خلة * ولا همة يسمو لها لعجيب

وحسب الفتى ذلا وان أدرك الغنى * ونال ثراء أن يقال غريب

(وقال آخر) طلب المعاش مفرق * بين الاحبة والوطن
ومصير جلد الرجا * ل الى الضراعة والوهن

وقال البستي لايعدم المرء كنا يستكن به * ومتعة بين أهليه وأصحابه
ومن نأى عنهم قلت مهابته * كالليث يحقر لما غاب عن غابه

(باب مدح الفراق)

(قال بعض الحكماء) فى الفراق مصافحة التسليم ورجاء الاوبة والسلامة من السآمة وعمارة القلب بالشوق والانس بالمكاتبة قال أبو تمام

وليست فرحة الاوبات الا * بموقوف على ترح الوداع

وكتب بعض الكتاب جزى الله الفراق خيرا فما هو الا زفرة وعبرة ثم اعتصام وتوكل ثم تأميل وتوقع وقبح الله التلاقى فانما هو مسرة لحظة ومساءة أيام وابتهاج ساعة واكتئاب زمان وقال انى لا كره الاجتماع ولا أكره الفراق لان مع الفراق غمة يخففها توقع اسعاف بتأميل الاوبة والرجعى ومع الاجتماع محاذرة الفراق وقصر السرور وقال الشاعر ليس عندى سخط النوى بعظيم * فيه غم وفيه كشف غموم
من يكن يكره الفراق فانى * أشتهيه للذة التسليم
ان فيه اعتناقة لوداع * وانتظار اعتناقة لقدوم

(وقال) بعض الظرفاء من الكتاب ان قلت انى لم أجد للرحيل ألما وللبين حرقة لقلت حقا لانى نلت به من العناق وأنس اللقا ما كان معدوما أيام الاجتماع ومما يليق قول البحترى فاحسن بنا والدمع بالدمع واكف * تمازجه والخد بالخد ملصق
وقد ضمنا وشك الفراق ولفنا * عناق على أعناقنا ثم ضيق
فلم تر الا مخبرا عن صبابة * بشكوى والا عبرة تترقرق
ومن قبل قبل التشكى وبعده * نكاد بها من شدة اللثم نشرق
ولو فهم الناس الفراق وحسنه * لحبب من أجل التلاقى التفرق

(وقال غيره) آه من حر دمعة المشتاق * ما ألذ البكاء عند الفراق
لذة الدمع عند بين حبيب * كعناق الحبيب وقت التلاقى

(باب ذم الفراق)

(كان يقال) ماخلق الفراق الا لتعذيب العشاق ويقال فراق الاحباب سقام الالباب وقال آخر حق الفراق أن تطير له القلوب وتطيش معه العقول وتطيح عليه النفوس * ويقال فراق الحبيب يشيب الوليد ويذيب الحديد * ويقال هول السياق أهون من الفراق وقال النظام لو كانت للفراق صورة لراعت القلوب وهدت الجبال ولجمر الغضى أهون توهجا من ناره ولو عذب الله أهل النار بالفراق لاستراحوا الى ماقبله من العذاب وقال الشاعر

لو أن مالكا عالم بجوى الهوى * وفعاله بأضالع العشاق
ماعذب الكفار الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

(وقال آخر)

لو دار من تاد المنية لم يجد * غير الفراق الى النفوس دليلا
انى نظرت الى الفراق فلم أجد * للموت لو فقد الفراق سبيلا

فاخذه أبو الطيب المتنبي فقال

لولا مفارقة الاحباب ماوجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا

ولابي العباس أحمد بن ابراهيم بن أحمد الضبي

لاتركنن الى الفرا * ق فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها * تصفر من ألم الفراق

(وقال بعض البلغاء) لاغرو أن يفرق الفراق بين الروح والبدن ويترك المبتلى به والاشتياق في قرن

(باب مدح البكاء)

(كان) يوسف عليه السلام اذا برح به الحزن على أبيه دخل وصب عبرته ثم خرج (فصل) لابي بكر الخوارزمي ان الفجيعة اذا لم تقارب بجيش من البكاء ولم يخفف من أثقالها بشئ من الاشتكاء تضاعف داؤها وزاد اعياؤها وعز دواؤها (فصل) لأبي اسحق الصابي ان في اسبال العبرة واطلاق الزفرة والاجهاش والنشيج واعلان الصياح والضجيج تنفيسا من برحاء القلوب وتخفيفا من أثقال الكروب (وقال امرؤ القيس)

وان شفائي عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معول

وقال آخر وبكيت ليلة هجرها من وصلها * وجرت مدامع أعيني كالعندم

أبكي وأمسح مدمعي في جيدها * من عادة الكافور إمساك الدم

وقال آخر وما في الارض أشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا أبدا حزينا * لخوف تفرق أو لاشتياق
فيبكي ان نأوا شوقا اليهم * ويبكي ان دنوا خوف الفراق

وقال غيره لولا مدامع عشاق ولوعتهم * لبان في الناس عز الماء والنار
فكل نار فمن أنفاسهم قدحت * وكل ماء فمن دمع لهم جاري

وقال ذو الرمة لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفي لحي بلابلا

(وقال ابن الرومي في ذكر العلة في تخفيف الهم بالبكاء)

الدمع في العين لا نوم ولا نظر * ولا محالة من معنى له خلقا
ولم أجد ذلك المعنى وحقكما * الا البكاء اذا ما طارق طرقا

وقال أيضا رحمه الله تعالى

ابك فمن أنفع ما في البكا * ان البكا للحزن تحليل
وهو اذا أنت تأملته * حزن على الخدين محلول

(فصل) لابي الحسن بن أبي القسم القاشاني قد شفيت غليلي بما استدررته من أسراب الدموع المحتبسة وخففت عن بعض البرحاء بما امتريته من أخلافها المتحدرة

(باب ذم البكاء)

(قال بعض الحكماء) لبعض الملوك وقد رآه في مصيبة يبكي ليس يليق بالسلطان ما هو عادة الصبيان والنسوان * وكان محمد بن عبد الملك الزيات يقول ان البكاء من خور الطبيعة وضعف النحيزة وترك البكاء في الخطوب النزل من أخلاق القوم البزل ولذلك قال الشاعر يبكى علينا ولا نبكي على أحد * لنحن أغلظ أكبادا من الابل

(وقال أبو تمام) في التجلد وترك البكاء عند المصيبة وقد أحسن

خلقنا رجالا للتجلد والاسى * وتلك الغواني للبكا والمآتم

وللبحتري وعمري ما العجز عندي الا * أن تبيت الرجال تبكي النساء

(وقال ابن الرومي في الرزايا وترك البكاء)

ترحل من هويت وكل شمس * ستكسف أو ستغرب حين تمسي
وما ألهاك عن ذكرى حبيب * كعدك أمس يوما بعد أمس

أبت نفسي البكاء زنفسي * كفى شجوا النفسي وزنفسي
أأجزع وحشة لفراق الف * وقد وطأتها حلول رمسي
رأيت الدهر يجرح ثم يأسو * فيوسى أو يعوض أو ينسي

(باب مدح الرؤيا)

(قال عكرمة) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث يعني تاويل الرؤيا * وفي الخبر المرفوع ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات يارسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ثم قرأ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة وفي الحديث ان الرؤيا جزء واحد من ستة وأربعين جزأ من النبوة ويقال الرؤيا الصالحة قرة للعين وقوة للظهر والهند تقول من رأى رؤيا صالحة فكان كمن لم ينم ومن لم ينم فقد زيد في عمره لان النوم أخو الموت * وقال بعض العلماء الرؤيا الصالحة بشارة وفي العمر زيادة * وقال آخر الرؤيا الصالحة هي البشرى بالنعمى (وقال بعض الظرفاء) مرحبا بالرؤيا فانها تجمع بين الحبيبين وان كان بينهما بعد المشرقين

(باب ذم الرؤيا)

أحسن ماقيل في ذلك قول بعض المجربين لعن الله الرؤيا خيرها غائب وشرها حاضر وأصدقها مايوجب الغسل وقال ابن بسام

أرى في منامي كل شئ يسوءني * ورؤياي بعد النوم أدهى وأقبح
فان كان خيرا كان أضغاث حالم * وان كان شرا جاءني قبل أصبح

وفي معناه قول الشاعر

واحلم في المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يراني *
وان أبصرت شرا في منامي * أتاني الشر من قبل الاذان

(وقال داود المصاب) رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل رأيت كاني أعطيت بدرة فمن ثقلها أحدثت في سراويلي فانتبهت فرأيت الحدث ولم أر البدرة * أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان للاحنف العكبري

قيل رؤيا المنام عندك حق * قلت هيهات كل ذاك مجاز
ليس يقظانهم يصح له الامر * فكيف المغطط الخباز

(وحكى) ابن سيرين أن رجلا رأى فى المنام كان له غنما تطلب منه عشرة بعشرة وليس يبيعها فلما انتبه وفتح عينيه لم ير شيأ فغمضهما ومديده وقال هاتوا خمسة خمسة

(باب مدح الهدية)

(فى الخبر المرفوع) تهادوا وتحابوا وفيه تصافحوا فان التصافح يذهب غل الصدور وتهادوا فان الهدية تسل السخيمة قال الشاعر

ان الهدية حلوة * كالسحر تختلب القلوبا
تدنى البعيد من الهوى * حتى تصيره قريبا
وتعيد مضطغن العدا * وة بعد نفرته حبيبا

(وقال ابن عائشة) الهدية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدب الملوك وعمارة المودة بين الاخوان * وكان يقال أهدوا للولاة فانهم ان لم يقبلوا أحبوا وكان الفضل ابن سهل ذوالرياستين يقول ما أرضى الغضبان واستعطف السلطان ولاسلت السخائم ولارفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولاتوقى المحذور بمثل الهدية * ومن أحسن ماقيل فى الاهداء الى الملوك قول أحمد بن يوسف المأمونى

على العبد حق فهو لابد فاعله * وان عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدى الى الله ماله * وان كان عنه ذا غنى فهو قابله

(وكتب) بعض الكتاب الى صديق له وجدت المودة منقطعة مادامت الحشمة عليها مسلطة وليس يزيل سلطان الحشمة الا المؤانسة ولا تقع المؤانسة الا بالمهاداة والملاطفة (وكتب) أبو العيناء الى بعض الوزراء قد بعثت الى الوزير ربيبا كورة عنب فان كنت سبقت المهدين لها فلى فضل السبق وان كنت مسبوقا فلى فضل النية ويقال من قدم هديته نال أمنيته ومن قدم المؤنة ظفر بالمعونة وقال بعض السلف نعم الشئ الهدية أمام الحاجة (وقال آخر) الهدية تفتح الباب المغلق وقال آخر الهدايا تذهب الشحناء والهدية رزق الله فمن أهدى اليه فليقبله (وقال بعض العلماء) لعظم خطر الهدية وجلالة قدرها على وجه الدهر قالت ملكة سبأ وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون وقال الشاعر

للهدايا فى القلوب مكان * وحقيق بحبها الانسان

وقال الشاعر اذا دخل الهدية دار قوم * تطايرت العداوة من كواها

(باب ذم الهدية)

أهدى الى عمر بن عبد العزيز هدية فردها فقيل له ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها فقال كانت له الهدية هدية وهي لنا رشوة وقد لعن الله الراشي والمرتشي والرائش * وقال بعض السلف الهدية للعامل غلول وفي عمل السلطان رشوة (وأهدى) الى دهقان هدية فكرهها وأظهر الجزع فعاتبه بعض من صاحبه فقال لئن كان ابتدأني بها انه ليدعوني الى أن أتقلد منه منة ولئن كافأني على معروف لي عنده انه ليسألني أخذ ثمن ذلك فمن أي هذين لا أجزع

(باب مدح الدين)

كان عائشة رضي الله عنها تستدين من غير حاجة فقيل لها في ذلك فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان عليه دين وفي نيته قضاؤه فان الله معه حتى يقضيه فأنا أحب أن يكون الله معي * وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما المستدين تاجر الله في أرضه وفي الحديث مكتوب على باب الجنة القرض بثمان عشرة والصدقة بعشر أمثالها قيل ولم ذلك يارسول الله قال عليه الصلاة والسلام ان الصدقة ربما وقعت في يد غني عنها وصاحب القرض لا يستدين الا من حاجة وضرورة (دخل) عتبة ابن عمر على خالد القسري فقال خالد يعرض به ان ههنا رجالا اذا فنيت أموالهم استدانوا فقال عتبة ان رجالا تكون أموالهم أكثر من مروآتهم فلا يدانون ورجالا تكون مروآتهم أكثر من أموالهم فيدانون على بيعة الله فخجل خالد وقال انك منهم وما علمت * ويقال كثرة الدين من علامات المفضلين وقال بعض السلف لان أقرض مالي مرتين أحب الي من أن أتصدق به مرة واحدة وفي الخبر من أراد أن يأخذ دينارا وهو ينوي قضاءه بارك الله فيه وأعانه على قضائه

(باب ذم الدين)

(في الخبر) لا وجع كوجع العين ولا غم كغم الدين وقال عليه الصلاة والسلام الدين شين الدين وكان يقال صاحب الدين ذليل بالنهار مهموم بالليل وقال بعض السلف الدين غل الله في أرضه فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعل منه طوقا في عنقه (وقال العتبي) الدين عقلة الشريف * وسأل عمرو بن عبيد عن صديق له فقيل قد توارى من دين ركبه فقال ذادا عطالما وفدا الى الكرام وقال عبد الملك بن صالح

ماسترق الاحرار بمثل الدين * ومن أحسن ماقيل فى هذا الباب قول الخباز البلدى

اذا استثقلت أو أبغضت خلقا * وسرك بعده حتى التنادى
فشرده بقرض درهمات * فان القرض مقراض الوداد

(وقال ابن المعتز) كثرة الدين تصير الصادق كاذبا والمنجز مخلفا

(باب مدح الشباب)

(فى الحديث المرفوع) أوصيكم بالشبان خيرا فانهم أرق أفئدة ان الله بعثنى بشيرا ونذيرا فحالفنى الشبان وخالفنى الشيوخ ثم قرأ فطال عليهم الامد فقست قلوبهم (وكان) عطاء الخراسانى يقول الحوائج الى الشبان أسهل منها الى الشيوخ ألم تر أن يوسف عليه السلام قال لاخوته لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقال أبوهم سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم * وقال الصولى فى كتاب فضل الشباب على الشيب الذى ألفه للمقتدر ان الشيب لايقدم مؤخرا ولا يؤخر مقدما بل ربما عدل بجلائل الامور ومهمات الخطوب عن المشايخ الى الشبان لاستقبال أيامهم وسرعة حركاتهم وحدة أذهانهم وتيقظ طباعهم لانهم على ابتناء المجد أحرص واليه أصبى وأحوج وقد أخبر الله تعالى عن اعطاء يحيى بن زكريا عليهما السلام الحكمة فى سن الصبا بقوله يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وذكر الفتية فى كتابه العزيز فى غير ما موضع اذ أوى الفتية الى الكهف وقال انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم وقال فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا (وقال بعض البلغاء) الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال مابعث الله نبيا من الانبياء الاشابا ولا أوتى العلم عالم الا وهو شاب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم (وقال الجاحظ) فى قول أبى العتاهية

ان الشباب حجة التصابى * روائح الجنة فى الشباب

معنى كمعنى الطرب الذى تشهد بصحته القلوب وتعجز عن صفته الالسن * ومن أحسن ماقيل فى مدح الشباب والتأسف عليه قول محمد بن حازم الباهلى

لاحين صبر فخل الدمع ينهمل * فقد الشباب بيوم الموت متصل
لاتكذبن فما الدنيا باجمعها * من الشباب بيوم واحد بدل

ولما انشد منصور النمري الرشيد قوله

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتني بشرته * صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفي شبابي كنه عزته * حتى مضى فاذا الدنيا له تبع

بكى الرشيد حتى اخضلت لحيته ثم قال يانمري لاخير في دنيا لايخطى فيها برد الشباب

(ومن أحاسن هذا الباب قول ابن الرومي)

لا تلح من يبكي شبيبته * الا اذا لم يبكها بدم * لسنا نراها حق رؤيتها
الا أوان الشيب والهرم * ولرب شئ لا يبينه * وجدانه الامع العدم
كالشمس لا تبدو فضيلتها * حتى تغشى الارض بالظلم

وله أيضا في نسيب قصيدة

أيا برد الشباب لكنت عندي * من الحسنات والقسم الرغاب
لبستك برهة لبس ابتذال * على علمي بفضلك في الثياب
ولو ملكت صونك فاعلمنه * لصنتك في الحرير من الغياب
ولم ألبسك الا يوم نفسر * و يوم زيارة الملك اللباب

وقال الشيخ لو قال لصنتك في الفؤاد من الغياب لكان أولى

(باب ذم الشباب)

يقال الشباب مطية الجهل ومظنة الذنوب وشعبة من الجنون (وقال النابغة)

وان يك عامر قد قال جهلا * فان مطية الجهل الشباب

وقال العتبي قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

و يقال سكر الشباب أشد من سكر الشراب (وقال ابن المعتز) جاهل الشباب معذور وعالمه محقور (وكان) يقول نعوذ بالله من ترهات الشبان ونزغات الشيطان وقال أبو الطيب محمد بن حاتم المصعبي وأجاد

لم أقل للشباب في كنف الله ولا ستره غداة استقلا
زائر لم يزل مقيما الى أن * سود الصحف بالذنوب وولى

(باب مدح الشيب)

في الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري والنار خلقي وأنا أستحي أن أحرق نوري

بنارى (وكان) يقال الشيب حلية العقل وسمة الوقار وقال دعبل الخزاعى

أهلا وسهلا بالمشيب فانه * سمة العفيف وهيئة المتحرج
وكأن شيبي نظم در زاهر * فى تاج ذى ملك أغر متوج

(وقال طريح بن اسمعيل الثقفى)

والشيب ان يحلل فان وراءه * عمرا يكون خلاله متنفس
لم ينتقص منى المشيب قلامة * ولنحن حين بدا ألذ وأكيس

وكان يقال الشيب زبدة مخضتها الايام وفضة سبكتها التجارب وكان بعض الحكماء يقول اذا شاب العاقل سرى فى طريق الرشد بصباح الشيب ووصف بعض البلغاء رجلا شاب وارعوى عن تجاهل الشباب فقال ذاك قد عصى شياطين الشباب وأطاع ملائكة الشيب (وقال) على رضى الله عنه مشهد الشيخ خير من مشهد الغلام وقال ابن المعتز عظم الكبير فانه عرف الله قبلك وارحم الصغير فانه أغر بالدنيا منك وكان يقال الشيخ يقول عن عيان والشاب عن سماع وقال أبو تمام

فلا يروعنك ايماض المشيب به * فان ذاك ابتسام الرأى والادب

(وقال أبو السمط)

ان المشيب رداء العقل والادب * كما الشباب رداء اللهو والطرب

وقال دعبل أحب الشيب لما قيل ضيف * لحبى للضيوف النازلينا

(وقال البحترى)

وبياض البازى أصدق حسنا * ان تأملت من سواد الغراب
(وله) عذلتنا فى عشقها أم عمرو * هل سمعتم بالعاذل المعشوق
ورأت لمة ألم بها الشيب فريعت من ظلمة فى شروق
ولعمرى لولا الاقاح لابصر * ت أنيق الرياض غير أنيق
وسواد العيون لو لم يحلّ * ببياض ما كان بالموموق
أى ليل يبهى بغير نجوم * وسحاب يندى بغير بروق

(وقال ابن الرومى)

قد يشيب الفتى وليس عجيبا * أن ترى النار فى القضيب الرطيب

(وللبديع الهمدانى) فصل فى مدح الشيب وذم الشباب جزى الله المشيب خيرا

قانه أتاه ولاردا الشباب فانه هناه وبئس الداء الصبا وإيس دواؤه الا انقضاءه وبئس المثل النار ولا العار ونعم الرا كضات الليل والنهار وأظن الشباب والشيب لو مثلا لكان الاول كلباعقورا والآخر شيخا وقورا ولاشتعل الاول نارا واشتهر الآخر نورا فالحمد لله الذى بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد ان السعيد من شابت جملته ولم تخص بالبياض لحيته وقال أيضا فى الشيب

يامن يعلل نفسه بالباطل * نزل المشيب فمرحبا بالنازل
ان كان ساءك طالعات بياضه * فلقد كساك بذاك ثوب الفاضل
لاتبكين على الشباب وفقده * لكن على الفعل القبيح الحاصل
ياغافلا عن ساعة مقرونة * بنوادب وصوارخ وثواكل
قدم لنفسك قبل موتك صالحا * فالموت أسرع من نزول الهاطل
حتام سمعك لايعي لمذكر * وصميم قلبك لايلين لعاذل
تبغي من الدنيا الكثير وانما * يكفيك من دنياك زاد الراحل
آى الكتاب تهز سمعك دائما * وتصم عنها معرضا كالغافل
كم للاله عليك من نعم ترى * ومواهب وفوائد وفواضل
كم قد أنالك من موانح طوله * فاسأله عفوا فهو غوث السائل

﴿ باب ذم الشيب ﴾

قال عبيد بن الابرص الشيب شين لمن يشيب وقال قيس بن عاصم الشيب خطام المنية وقال أكثم بن صيفي الشيب عنوان الموت وقال الحجاج الشيب بريد الموت وقال مالك بن أنس الشيب توأم الموت وقال العتبي الشيب مجمع الامراض وقال العتابي الشيب نذير المنية وقال غيره الشيب شر العمائم وقال محمود الوراق الشيب غمام قطره الغموم وقال ابن المعتز الشيب أول مواعيد الفناء وقال القاسم الشيب ناهي الشباب ورسول البلاء وقال غيره الموت ساحل الحياة والشيب سفينة تقرب من الساحل وقال ابن عائشة الشيب قناع الموت وقال يونس النحوي الشيب مجمع كل عيب وقال ابن شكلة الشيب أحد الموتتين ومن أحسن ماقيل فى ذم الشيب قول أبي تمام

غدا الشيب مختطا بفودى خطة * طريق الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر فى العين أبيض ناصع * ولكنه فى القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا * وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

(وللشافعى رضى الله تعالى عنه)

ولذة عيش المرء قبل مشيبه * وقد فنيت نفس تولى شبابها
اذا اسود جلد المرء وابيض شعره * تكدر من أيامه مستطابها

غيره

سألت من الاطبة ذات يوم * طبيبا عن مشيبى قال بلغم
فقلت له على غير احتشام * لقد أخطأت فيما قلت بل غم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

تضاحكت لما رأت * شيبا تلالا غرره * قلت لها لا تعجبى
أنبيك عندى خبره * هذا غمام للردى * ودمع عينى مطره

وقال آخر

من شاب قد مات وهو حى * يمشى على الارض مشى هالك
لو كان عمر الفتى حسابا * لكان فى شيبه كذلك

(باب مدح الخضاب)

كان يقال الخضاب أحد الشبابين ويقال الخضاب تذكرة الشباب ومن أحسن ماقيل فى مدحه

الشيب موتى ولكن فى اماتته * محيا ليال قليلات وأيام

وقال ابن المعتز

وقالوا النصول مشيب جديد * فقلت الخضاب شباب جديد
اساءة هذا باحسان ذا * فان عاد ذاك فهذا يعود

وقال آخر

للضيف أن يقرى ويعرف حقه * فالشيب ضيفك فاقره بخضاب

وأطرف ماقيل فى الخضاب قول عبدان الاصفهانى

فى مشيبى شماتة لعداتى * وهو ناع منغص لحياتى
ويعيب الخضاب قوم وفيه * لى أنس الى حضور وفاتى
لا ومن يعلم السرائر منى * مابه رمت خلة الغانيات
انما رمت أن يغيب عنى * ماتريني كل يوم مراتى
وهو ناع الى نفسى ومن ذا * سره أن يرى وجوه النعاة

(باب ذم الخضاب)

قال الاسكندر لرجل خضب الشيب هب انك خضبت الشيب فكيف تخضب سائر آثار الكبر (وقال ابن المعتز) الخضاب من شهود الزور وقال ابن الرومى الخضاب حداد الشباب وقال آخر الخضاب كفن الشيب ولبعضهم

يا خاضب اللحية ما تستحى * تشارك الرحمن فى صبغته

أقبح شئ شاع بين الورى * ان الفتى يكذب فى لحيته

غيره قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعى ويا بصرى

فقهقهت ثم قالت ان ذا عجب * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

(وقال محمود الوراق)

يا خاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود

ان النصول اذا بدا * فكأنه شيب جديد

فله بديهة روعة * مكروهها أبدا عتيد

فدع المشيب كما أرا * د فلن يعود كما تريد

(وقال آخر) خضبت شيبى ليخفى * وكان ذاك لعله

فقيل شيخ خضيب * قد زاد فى الطين بله

وقال آخر يا خاضب الشيب بالحنا ليستره * سل الاله له سترا من النار

(وقال أبو الطيب المتنبى)

ومن هوى كل ما كانت مموهة * تركت لون مشيبى غير مخضوب

ومن هوى الصدق فى قولى وعادته * رغبت عن شعر فى الوجه مكذوب

(وقال غيره)

تولى الجهل وانقطع العتاب * ولاح الشيب وافتضح الخضاب

لقد أبغضت نفسى فى مشيبى * فكيف تحبنى الخود الكعاب

(باب مدح المرض)

(حدث) الصولى عن أبى ذكوان قال سمعت ابراهيم بن العباس يصف لى الفضل بن سهل وتقدمه ويصف علمه وكرمه فكان مما حدثنى به أنه قال برأ الفضل من علة عرضت له فجلس للناس وهنوه بالعافية فلما فرغوا من كلامهم قال لهم ان فى المرض لنعما لا ينبغى للعقلاء أن يجحدوها منها تمحيص للذنوب وتعرض لثواب والصبر

وايقاظ من الغفلة واذكار للنعمة الموجودة فى الصحة ورضا بما قدر الله وقضاه واستدعاء التوبة وحض على الصدقة فحفظ الناس كلامه ونسوا ما قال غيره (وكان) يقال مرارة السقم توجد حلاوة العافية وفى الخبر ان المريض يخرج من مرضه نقيا من الذنوب كيوم ولدته أمه وفى الخبر أيضا ان المريض لتتساقط خطاياه كما يتساقط الورق من الشجر فى الخريف (وكان) طاوس يقول دعاء المريض مستجاب أما سمعت قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه والمريض مضطر جدا وفى خبر آخر حمى ليلة كفارة سنة (وقال بعض العلماء) رب مرض يكون تمحيصا لا تنغيصا وتذكيرا لا تعكيرا وأدبا لا غضبا (وقال ابن المعتز) قلت لبعض فقهائنا وأنا عليل وقد سألنى عابد بحضرته عن حالى فقال لى كيف أنت فقلت أترانى ان قلت فى عافية كنت كاذبا فقال لا قد قال بعض الصالحين اذا أعلك الله فى جسدك فقد أصحك من ذنوبك

﴿ باب ذم المرض ﴾

كان يقال الصحة تشبه الشباب والمرض يشبه الهرم وقيل لا رفيق أرفق من الصحة ولا عدو أعدى من المرض (وقال آخر) شيا آن لا يعرفان الا بعد ذهابهما الصحة والشباب (وقال بزرجمهر) ان كان شئ فوق الموت فهو المرض وان كان شئ مثله فهو الفقر وان كان شئ فوق الحياة فهو الصحة والشباب وان كان شئ مثلهما فهو الغنى (وقال ابن المعتز) المرض حبس البدن كما أن الهم حبس الروح (وقال بشار)

انى وان كان جمع المال يعجبنى * لا يعدل المال عندى صحة الجسد

المال زين وفى الاولاد مكرمة * والسقم ينسيك ذكر المال والولد

(وللمتنبى) واذا الشيخ قال أف فما مل حياة وانما الضعف ملا

آلة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن آمرء ولى

﴿ باب مدح الموت ﴾

فى الحديث المرفوع الموت راحة (وقال) بعض السلف ما من مؤمن الا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول وما عند الله خير وأبقى وان كان مسيئا فانه تعالى يقول ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما (وقال) ميمون بن مهران بت ليلة عند عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسالته الله الموت فقلت يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يديك خيرا كثيرا

أحييت سننا وأمت بدعا وفي بقائك راحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح يوسف بن يعقوب عليهما السلام حين أقر الله عينيه وجمع له أمره قال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين (وقالت) الفلاسفة لا يستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسان أنه حي ناطق ميت (وقال بعض السلف) الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استريح منه وقال آخر رب موت كالحياة قال الشاعر وما الموت الا راحة غير أنها * من المنزل الفاني الى المنزل الباقي

(وقال آخر)

جزى الله عنا الموت خيرا فانه * أبر بنا من كل بر وأرأف
يعجل تخليص النفوس من الاذى * ويدني من الدار التي هي أشرف

(وقال منصور الفقيه)

قد قلت اذ مدحوا الحياة فأسرفوا * في الموت ألف فضيلة لو تعرف
منها أمان لقائه بلقائه * وفراق كل معاشر لا ينصف

(وقال أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب)

من كان يرجو أن يعيش فانني * أصبحت أرجو أن أموت فاعتقا
في الموت ألف فضيلة لو أنها * عرفت لكان سبيله أن يعشقا

(وقال ابن لنكك البصري)

نحن والله في زمان غشوم * لو رأيناه في المنام فزعنا
أصبح الناس فيه من سوء حال * حق من مات منهم أن يهنا

شعر ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا * والناس حولك يضحكون سرورا
فاحرص على عمل تكون اذا بكوا * في يوم موتك ضاحكا مسرورا

(باب ذم الموت)

(قال) صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه ما ذكر في قليل الا كثره ولا في كثير الا قلله أي ما ذكر في كثير من العمل الا كثره لان تفكر ساعة خير من عمل ستين سنة ولا في كثير من الامل الا قلله أي باعتبار ما ينشأ عنه من تفتير الهمم

والعزائم ولكن حجاب الغفلة وطول الامل شغل معظم الخلق قال

وتحن فى غفلة عما يرادبنا * ننعى لشقوتنا من ليس ينسانا

ولبعضهم وماهذه الايام الاصحائف * يؤرخ فيها ثم تمحى وتمحق

ولم أرفى دهرى كذا ثرة المنى * توسعها الآمال والعمر ضيق

وفى بعض الآثار عن النبي المختار الامل رحمة من الله لامتى (وقال الشاعر)

ياموت ماأجفاك من نازل * تنزل بالمرء على رغمه

تستلب العذراء من خدرها * وتأخذ الواحد من أمه

(وقال آخر) وكل ذى غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب

(وقال بعضهم) الناس فى الدنيا أغراض تنتضل فيها سهام المنايا (وقال ابن المعتز) الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك (وقال بعض السلف) الموت أشد ماقبله وأهون مابعده (ونظر) الحسن الى ميت يدفن فقال ان شيأ هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره وان شيأ هذا آخره لحقيق أن يزهد أوله (وسئل) بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفازة من ركبها أضل خبره قال الشيخ يعنى أخفى خبره وعفا أثره (وقال المتنبى)

اذا ما تأملت الزمان وصرفه * تيقنت أن الموت ضرب من القتل

وما الموت الاسارق دق شخصه * يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

وقال أيضا نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف مالا بد من شربه

يموت راعى الضأن فى جهله * موتة جالينوس فى طبه

(وقال) ابن المعتز كأن من غاب لم يشهد ومن مات لم يولد (وقال أيضا) الميت يقل الحسد له ويكثر الكذب عليه

﴿ باب مدح السواد ﴾

أحسن ماقيل فيه قول أبي يوسف القاضى وقد جرى بين يدى الرشيد ذكر السواد من بين الالوان ياأمير المؤمنين من فضائل السواد أنه لم يكتب كتاب الابه حتى كتاب الله تعالى (وكان) يقول النور فى السواد يعنى سواد الناظر وقد أكثر الشعراء فى مدح السواد ووصفه * فمن أحسانه قول أبي حفص فى جارية له

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة ما كنت أو قاعده

لاشك اذعرفكما واحد * أنكما من طينة واحده

(وقال ابن العبسى)

ان سعدى والله يكلأ سعدى * ملكت بالسواد رق سوادى

أشبهت ناظرى وحبة قلبي * فهي فى العز ناظرى وفؤادى

لن يرى الناظرون شيأ وأن أشرق حسنا الابنور السواد

(وقال بعض الكتاب فى غلام أسود)

قالوا عشقت من البريه أسودا * مهلا علقت باضعف الاسباب

فاجبتهم مافى البياض فضيلة * وأرى السواد نهاية الطلاب

أهوى السواد لان شيى أبيض * يردى الفتى وأحب لون شبابى

وكذاك فى الكافور برد قاطع * والمسك أصبح سيد الاطياب

وبه تزين كف كل خريدة * وبه تتم صناعة الكتاب

والله ألبس أهل بيت محمد * لون السواد فكف عنك عتابى

(وقال ابن الرومى وزاد عليه)

غصن من الآبنوس ركبف * مؤتزر محجب ومنتطق

سوداء لم تنتسب الى برض الشقر ولالمعة من البهق

اكسبها الحب أنها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

فانصرفت نحوها الضمائر زوال * ابصار يعنق أعاعنق

وبعض مافضل السواد به * والحبر ذو سلم وذو يقق

أن لا تعيب السواد حلكته * وقد يعاب البياض بالبهق

(وقال بعض الظرفاء)

يكون الخال فى خد قبيح فيكسوه الملاحة والجمالا

فكيف يلام مشغوف بمن * قد يراه كله فى العين خالا

(وقال الصابى فى غلام أسود)

لك وجه كأنما خضبه سو * داء قلب عن التصبر خالى

فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالى

لم يشنك السواد بل زدت حسنا * انما يلبس السواد الموالى

(لطيفة) قيل ان هرون الرشيد جلس ذات يوم وبين يديه جاريتان احداهما سوداء والاخرى بيضاء فتعاتبت الجاريتان وتنادمتا ثم ان كل واحدة منهما أنشدت شعرا تمدح نفسها وتذم صاحبتها فان السوداء أنشدت تقول

ألم تر أن المسك لاشئ مثله * وان بياض اللفت حمل بدرهم
وان سواد العين لاشك نورها * وان بياض العين لاشئ فافهم

فاجابتها البيضاء وقالت

ألم تر أن الدر لاشئ فوقه * وأن سواد الفحم حمل بدرهم
وان رجال الله بيض وجوههم * وان الوجوه السود أهل جهنم

فاستحسن الرشيد قولهما وخلع عليهما (وقال ابن المعتز) يامسكة العطار وخال وجه النهار

(باب ذم السواد)

أحسن ماقيل فى ذم السواد قول الاوزاعى السواد لا يلبى فيه محرم ولا يكفن فيه ميت مسلم ولاتجلى فيه عروس (وقال) الماهانى لصديق له لم أولعت بالسودان فقال لانهن أسخن فقال الماهانى للعين (وقال) أحمد بن أبى الطيب السرخسى من معايب السودان أنه لا يظهر فيهم أثر الحياء والخجل ولم يتخذ الله منهم نبيا (وقال أبو حنش)

رأيت أبا الجناء فى الناس جائرا * ولون أبى الجناء لون البهائم
تراه على مالاحه من سواده * وان كان مظلوما له وجه ظالم

(وقال) اللحام فى هجاء أسود

ويبرز للرائين وجها كأنما * كساه اهابا من قشور الخنافس

وقد أحسن كشاجم فى هجاء رجل أسود جائر

يامشبها فى فعله لونه * لم تعد ما أوجبت القسمة
فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمة

(باب مدح الغوغاء والسفهاء)

فى الخبر ان الله ينصر هذا الدين باقوام لاخلاق لهم (وكان) الاحنف بن قيس يقول أكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم النار والعار (وذكر محمد بن جعفر) رضى الله تعالى عنهما الغوغاء فقال انهم ليطفئون الحريق ويستنقذون الغريق ويسدون البثوق (وكان) الشافعى رحمة الله تعالى عليه يقول لابد للفقيه من سفيه يناضل معه

ويحامى عليه (وكان) سعيد بن سالم يقول ينبغى للرئيس أن يأخذ فى ارتباط السفهاء من الغوغاء وفيه يقول الشاعر

وانى لاستبقى امرأ السوء عدة * لعدوة عريض من القوم جانب
أخاف كلاب الابعدين وهرشها * اذا لم تجاوبها كلاب الاقارب

(باب ذم الغوغاء والسفهاء)

ذكرهم واصل بن عطاء فقال ما اجتمعوا قط الا ضروا وما تفرقوا الا نفعوا فقيل له قد عرفنا مضرة الاجتماع فما منفعة الافتراق فقال يرجع الحائك الى حياكته والطيان الى مطينته والفلاح الى فلاحته وكل ذلك من مرافق المسلمين ومعاون المحتاجين (وقال) الجاحظ الغاغة والباعة والاغبياء والسفهاء كأنهم أغرار عام واحد وهم فى بواطنهم أشد تشابها من التوأمين فى ظواهرهما وكذلك هم فى مقادير العقول وفى الاعتزام والتسرع وفى الاسنان والبلدان (وقد) ذكر الله تعالى ذكره رد قريش ومشركى العرب على النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ألفاظهم ومعايبهم ومقادير هممهم التى كانت فى وزان ما كان من جميع الامم مع انبيائهم فقال عز وجل تشابهت قلوبهم الآية وقال فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا ومثل هذا كثير ألا ترى أنك لا تجد أبدا فى كل بلدة وعصر الحاكة فيها الاعلى مقدار واحد وجهة واحدة من السخف والحول والغباوة والظلم وكذلك النخاسون على طبقاتهم من أصناف ما يبيعون ويبتاعون وكذلك السماكون والقلاشون على مثال واحد وجهة واحدة * وكل حجام فهو شديد الحرص على شرب النبيذ وقد اختلفوا فى البلدان والاجناس والانساب (وكان المأمون) يقول كل شر وضر فى الدنيا انما هو صادر عن السفهاء والغاغة فانهم قتلة الانبياء والاولياء والاصفياء وهم المضربون بين العلماء والنمامون بين الاوداء والساعون الى السلاطين ومنهم اللصوص والسراق والقطاع والطرارون والجلادون ومثيرو الفتن والمغيرون على الاموال فاذا كان يوم القيامة جروا على عادتهم فى السعاية يقولون ما حكى الله عنهم ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا

(باب مدح العمى)

(قال) الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل لقتادة ما بال العميان أذكى وأكيس من البصراء قال لان أبصارهم تحولت الى قلوبهم * وقال الجاحظ العميان أذكى وأحفظ وأذهانهم أقوى وأصفى لانهم غير مشتغلى الافكار بتمييز الاشخاص ومع النظر تشعب الفكر ومع انطباق العين اجتماع اللب (ولذلك) قال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل * وفى فى صارم كالسيف مشهور

(وقال) يعيرنى الاعداء والعار فيهم * وليس بعار أن يقال ضرير
اذا أبصر المرء المروءة والتقى * وان عمى العينان فهو بصير

(وقد عير) بعضهم أعمى وكان لسنا فصيحا فقال يهجوه ويعرض بدائه

ليس العمى داء ولكنه * شظفة تشريف على ضره
ما الهم والداء وكل البلا * الا ابتلاء المرء فى دبره
فالحمد لله الذى صاننا * مما يحار الطير فى أمره

(وقال الشاطبى رحمه الله)

ان اذهب الله من عينى نورهما * فان قلبى مضى ءما به ضرر
أرى بقلبى دنياى وآخرتى * والقلب يدرك ما لا يدرك البصر

(وقال) رجل لبشار ما سلب الله من عبد كريمتيه الاعوضه عنهما فما الذى عوضك عن عينيك فقال فقد النظر الى بغيض مثلك (وقال) أبو يعقوب الخزيمى من فضائل العمى ومرافقه اجتماع الرأى والذهن وقوة الادراك والحفظ وسقوط الواجب من الحقوق والامان من فضول النظر الداعية الى الذنوب وفقد رؤية الثقلاء والبغضاء وحسن العوض عن مراعى الوجه فى دار الثواب وقال منصور الفقيه

يا معرضا ازدرانى * لما رآنى ضريرا كم قد رأيت بصيرا * أعمى وأعمى بصيرا
قل لى وان أنت أنصفت قلت خلقا كثيرا

(باب ذم العمى)

أحسن ما قيل فيه قول الشاعر

لا تلومن فى السفاهة أعمى * فسكوت اللبيب عنه صواب

كيف يرجوا الحياء منه صديق * ومكان الحياء منه خراب

(وقال) الجاحظ رأيت ضريرا بباب الكرخ يقول ارحموا ذا الزمانتين فقلت أما احداهما فالعمى فما الاخرى قال عدم الصوت أما ترى الشاعر كيف يقول

أرى شيئين ان عدما * نخير منهما الموت فقير ماله مال * وأعمى ماله صوت

وينشد سمعت أعمى قال في مجلس * ياقوم ما أوجع فقد البصر

فقال من بينهم أعور * من العمى عندى نصف الخبر

(وقال) منصور الفقير

جعلت الجدار دليلى عليك * لانى أرانى مثل الجدار

وصار نهارى وليلى سوا * وقد كان ليلى مثل النهار

(باب مدح السجن)

أحسن ما قيل فيه قول على بن الجهم

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى * حبسى وأى مهند لا يغمد

أوما رأيت الليث يألف غابه * كبرا وأوباش السباع تردد

والبدر يدركه المحاق فتنجلى * أيامه وكأنه متجدد

ولكل حال معقب ولربما * اجلى لك المكروه عما تحمد

والسجن مالم تغشه بدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد

بيت يجدد للكريم محله * فيزار فيه ولا يزور ويقصد

(وأحسن) ما قيل فى تسلية المسجونين قول البحترى

اما فى رسول الله يوسف اسوة * لمثلك محبوسا على الضيم والافك

اقام جميل الصبر فى السجن برهة * فافضى به الصبر الجميل الى الملك

(وقال البستى)

فديتك يا روح المكارم والعلى * بأنفس ما عندى من الروح والنفس

حبست فمن بعد الكسوف تبلج * تضىء به الآفاق كالبدر والشمس

فلا تعتقد للحبس هما ووحشة * فقبلك قدما كان يوسف فى الحبس

وقال آخر

بنفسى من لم يضربوه لريبة * ولكن ليبدوا لو ردفى سائر الغصن

ولم يودعوه السجن الا مخافة * من العين ان تعدو على ذلك الحسن
وقالوا كما شاركت فى الحسن يوسفا * فشاركه أيضا فى الدخول الى السجن

(ومن) أبلغ ماقيل فى الاهانة بالحبس والضرب قول بعض الاعراب

وما الحبس الا ظل بيت سكنته * وما السوط الا جلدة وافقت جلدا

(باب ذم السجن)

كتب يوسف عليه السلام على باب السجن هذه منازل البلاء وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء وقبور الاحياء (وكتب) بعض المحبوسين الى صديق له كتبت اليك من دار لست لها مالكا ولا من نهنا ولا مكتريا وليست بوقف على ولست فيها ضيفا ولا زائرا فقال انا لله وانا اليه راجعون كتبه من السجن (وقال شاعر من المسجونين)

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

(وقال) عبد الملك بن عبد العزيز وكان فى حبس الرشيد

ومحلة شمل المكاره أهلها * وتقلدوا مشنوأة الاسماء
دار يهاب بها اللئام ونتقى * وتقل فيها هيبة الكرماء
ويقول علج ماأراد ولا ترى * حرا يقول برقة وحياء
ويرق عن مس الملاحة وجهه * فيصونه بالصمت والاغضاء

(باب مدح التعليم)

أحسن وأجمع ماسمعت فى مدح التعليم قول أبى زيد البلخى فى رسالة كتبها الى من عيره بانه معلم ليس يستغنى عن التعلم والتعليم أحد لان الخاصة والعامة تضطر اليهما فى جميع الديانات والصناعات والآداب والأنساب والمكاسب والمذاهب فما يستغنى كاتب ولا حاسب ولا صانع ولا بائع ولا أحد فى كل مذهب ومكسب أن يتعلم صناعة ممن هو أعلم منه ويعلم من هو أجهل منه وقوام الخلق بالتعلم والتعليم فالمعلم أفضل من المتعلم لان صفة المعلم دالة على التمام والافادة وصفة المتعلم دالة على النقصان والاستفادة وحسبك جهلا من رجل يذم ماوصف به الخالق نفسه ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد قال الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وقال وعلمناه من لدنا علما وقال الرحمن علم القرآن وقال فى وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلمهم

الكتاب والحكمة الآية

(باب ذم التعليم)

أحسن ماقيل في ذم المعلم قول الشاعر

وكيف يرجى العقل والحلم عند من * يروح الى أنثى ويغدو الى طفل

وقال آخر يهجو معلما

معلم صبيان وحامل درة * وليس له عقل بمثقال ذرة

(وقال الحمدوني)

معلم صبيان يروح ويغتدي * على انفه ألوان ريح فسائهم
وقد أفسدوا منه الدماغ بفسوهم * ورفعهم أصواتهم ونداتهم
ويستخدم الغلمان ثم ينيكهم * ويقتلهم جوعا بأكل غذائهم

(وقال آخر)

ان المعلم حيث كان معلم * ولو ابتنى فوق السماك بناء *
أو كان علم ساعة من دهره * أو كان علم آدم الاسماء
لابد من نقص يكون بعقله * فاخلص بنفسك حيث كان الداء

(وقال الجاحظ) عقل مائة معلم عقل امرأة وعقل مائة امرأة عقل حائك (وقيل) مر معلم في النظارة الى بعض الحروب فأصابت رأسه نشابة وبقيت فيه فلما أريد نزعها منه قال جاره ارفقوا به لا تصيبوا دماغه فقال انزعوها كيف شئتم فلو كان لي دماغ ماخرجت في النظارة الى الحرب (وقيل) لمعلم ان معلم لا تكن أحمق فقال حمق موروث

(باب مدح الرقيب)

(قال بعض الظرفاء) لا أقوم بواجب شكر الرقيب لانه حفيظ على الحبيب كما يمنعه مني يمنعه من غيري وأنشد

موقف للرقيب ما أنساه * لست أختاره ولا آباه
مرحبا بالرقيب من غير وعد * جاء يجلو علي من أهواه
لا أحب الرقيب الا لأني * لا أرى من أحب حتى أراه

(ويقال) الرقيب ثاني الحبيبين

(باب ذم الرقيب)

قد جرى المثل بثقل الرقيب وحسن توقع فقده ومن أحسن ماقيل في ذمه قول ابن

الرومى مابالها حسنت لنا ورقيبها * أبدا قبيح قبح الرقباء
ماذاك الا انها شمس الضحى * أبدا يكون رقيبها الجرباء
(ولبعضهم) هم أيقظوا رقط الافاعى ونبهوا * عقارب ليل نام عنها حوانها
وقد نقلوا عنى الذى لم أفه به * وما آفة الاخبار الا رواتها

(باب مدح لا)

أحسن ماقيل فى مدح لا نثرا قول بعض الحكماء لولم يكن من فضل لا الا انها افتتاح كلمة التوحيد لكان كافيا يعنى لا اله الا الله ونظما قول غيره

اجتمع الناس على ذم لا * غيرى فانى موجب حق لا
وذا لانى قلت يوما له * تحب غيرى سيدى قال لا

(وقال الكندى) قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم (وقال) سليمان بن عبد الله ابن طاهر

فى كل شئ سرف * يكره حتى فى الكرم
وربما ألفيت لا * أفضل من ألف نعم

(وكان المهلب) يوصى ابنه عبد الملك ويقول له اياك والسرعة عند مسئلة بنعم فان نعم أولها سهل فى مخرجها وآخرها ثقيل فى فعلها واعلم أن لا وان قبحت فربما روحت وان كنت فى أمر تسئله على قدرة فيه فاطمع وان عرفت أن لا سبيل اليه فاعتذر عنه وادفع فان من لا يدفع بالعذر فنفسه ظلم

(باب ذم لا)

(وقال بعضهم) لعن الله قول لا * خلقت خلقة الجلم
انما تقرض الجميل وتأبى على الكرم

ووصف لا أبو الحرث ليحيى بن خالد البرمكى فقال قبح الله لا كأنه مشجب من حيث أتيته * المشجب عيدان يضم بعضها الى بعض مفتحة الاطراف تعلق عليها الثياب (وقال غيره) على نحو ما تقدم

ياليت لا ما كتبت * فانها تحكى الجلم

(باب مدح اليمين)

(ادعى) رجل على داود بن على الاصبهانى مالا فى مجلس حكم عند اسمعيل بن اسحق القاضى فأنكره وحلف له فقال القاضى يا أبا سليمان أنت مع محلك من العلم تحلف

فى مثل هذا المجلس فقال نعمت اليمين الصادقة ثناء على الله وانما فعلت ما أمر الله به ورسوله فقال وماهو فقال أليس الله يقول لرسوله عليه الصلاة والسلام ويستنبئونك أحق هو قل اى وربى انه لحق ويقول سبحانه وتعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن وقال جل ذكره وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم قال القاضى قم بالسلامة فما أرى أحدا يقطعك (وقال ابن الرومى)

وانى لذو حلف حاضر * اذا ما اضطررت وفى الحال ضيق

فهل من جناح على مسلم * يدافع بالله ما لا يطيق

(وكان) أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه يقول اذا ابتليت بالسلطان نفرق دينك بالايمان ورقعه بالاستغفار فان الله تعالى يقول لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

(باب ذم اليمين)

(قال) الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث المرفوع اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع (ويقال) اليمين حنث ومندمة (ويقال) كلام الجاهل كله حلف وكلام العاقل كله مثل (وقال) بعض السلف دع اليمين لله اجلالا وللناس اجمالا (وقال ابن المعتز) علامة الكذاب مبادرته باليمين لغير مستحلف وقيل لو لم يكن فى اليمين الا أنه يغضب صاحبه ويبغضه الى الناس ولو كان فيه صادقا لكفى

(باب مدح شهر رمضان)

فى الحديث المرفوع اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين (وكان) عليه الصلاة والسلام يبشر أصحابه فى شهر رمضان ويقول قد جاءكم الشهر المبارك الذى فيه الليلة التى هى خير من ألف شهر ولله فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان ستمائة ألف عتيق من النار وله فى آخر ليلة من لياليه مثل ما أعتق فى جميع الشهر (وقال) بعض الزهاد

ان شهر الصيام مضمار نسك * وسباق الى رضا المعبود

حلبة خيلها الصيام مع النسك وادخالها جنان الخلود

(وقال آخر) وهو أبدع ما قيل فيه

شهر الصيام مشاكل الحمام * فيه طهور جوامع الآثام
فاطهر به واحذر عثارك انما * شر المصارع مصرع الحمام

(وقال) أبو جعفر محمد بن موسى الرامى

مضى رمضان المرمض الدين فقده * وأقبل شوال يشول به فهرا
فيالك شهرا شهر الله قدره * لقد شهرت فيه سيوف الهدى شهرا

(وقال الصاحب)

قد تعدوا على الصيام وقالوا * حرم العبث فيه حبس العوائد
كذبوا فالصيام للمرء مهما * كان مستيقظا أتم الفوائد
موقف بالنهار غير مريب * واجتماع بالليل عند المساجد

(باب ذم شهر رمضان)

كتب أبو على البصير الى ابن مكرم فى شعبان كتبت اليك فى آخر يوم من أيام الدنيا بادبار شعبان وأول يوم من أيام الآخرة باقبال شهر رمضان (وقال) بعض المجان شهر رمضان تخشلبة بين درتين يعنى شعبان وشوالا (وقال) البحترى

طال هذا الشهر المبارك حتى * قد خشينا بأن يكون لزاما
كم صحيح قد ادعى السقم فيه * وعليل قد ادعى البرساما
ولخير من السلامة تبدى * للفتى علة تحل الحراما

(وقال ابن الرومى)

شهر الصيام وان عظمت حرمته * شهر ثقيل بطىء السير والحركه
يمشى رويدا فاما حين يطلبنا * فلا السليك يدانيه ولا السلكه
كأنه طالب ثارا على فرس * أجدى فى أثر مطلوب على رمكه
شهر كان وقوعى فيه من قلق * وسوء حالى وقوع الحوت فى الشبكه
يا صدق من قال أيام مباركة * ان كان يكنى عن اسم الثقل بالبركه
أذمه غير وقت فيه أحمده * وقت العشاء الى أن تصقع الديكه
لو كان مولى وكنا كالعبيد له * لكان مولى بخيلا سيئ الملكه

(وقال أيضا)

اذا بركت فى صوم لقوم * دعوت لهم بتطويل العذاب

وما التبريك في شهر طويل * يطاول يومه يوم الحساب
فليت الليل فيه كان شهرا * ومر نهاره مر السحاب
فلا أهلا بمانع كل خير * وأهلا بالطعام وبالشراب
(وقال غيره) الغوث من هذا الصيام * قد صار لي مثل العام
* ما ان أمتع بالطعام وبالمدامة والمرام

(ولمؤلف الكتاب)

رمضان أمرضني وأرمض باطني * صادلت صد كالطبائع أربعه
صوم وصفراء تجرعني الردى * وصبابة وصدود من قلبي معه
(وقال بشار) قل لشهر الصيام أنحلت جسمي * ان ميقاتنا طلوع الهلال
اجهد الآن كل جهدك فينا * سترى ما يكون في شوال

﴿ باب مدح الوعد ﴾

(حدثني) عون بن محمد قال حدثني أحمد بن سيار قال وعد يزيد بن مزيد رجلا قضاء حاجة فقال له لم تعدني وأنت تقدر على الانجاز فقال تسرالى وقت قضاء الحاجة فان سرور القضاء وقت واحد وسرور الوعد الى وقت الانجاز متصل ولو شاء الله أن يفتح مكة لنبيه عليه الصلاة والسلام لفتحها أول ارادته ولكن أحب أن يتصل سرور المسلمين باتصال انقضاء الوعد وعن أحمد بن يزيد قال حدثني البحترى عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال لى أسرك اليوم بالوعد وأحبوك غدا بالانجاز فانى سمعت يحيى بن خالد البرمكى يقول المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الاحرار ولو كان المعطى لا يعد لارتفعت مفاخر انجاز الوعد وبطل فضل صدق القول

﴿ باب ذم الوعد ﴾

(أخبرنا) محمد بن الحسن قال أبو الحسن المدائنى حدثت عن الخليل بن أحمد قال بلغنى ان طلحة الطلحات قال ما بات لرجل على موعد منذ عقلت وما تململ الموعود في ليله ليغدو للظفر بحاجته أشد من تململى للخروج اليه من عدته خوفا العارض الخلاف ان الخلف ليس من أخلاق الكرام (قيل) وكان عمر بن عبد العزيز لا يكاد يوجب على نفسه شيأ توقيا الخلاف ﴿ قال مؤلفه أبو نصر ﴾ لم أجد هذين البابين في الاصل غير أنى وجدتهما في النسخة الساقطة الى من أصفهان والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ يقول راجى غفران المساوى مصححه محمد الزهرى الغمراوى ﴾

نحمدك اللهم جعلت من أحاسن الزينة حلية الآداب ونورت البصيرة ولابتل الحكم التى ألهمتها الاولى الالباب ونسألك الصلاة والتسليم على خلاصة العوالم وحجة الله الكبرى على بنى آدم سيدنا محمد المبعوث لتتميم مكارم الاخلاق وعلى آله وأصحابه الذين شربوا من زلال كمالاته ما حلا وراق ﴿ أما بعد ﴾ فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب اللطائف والظرائف للعلامة الاوحد والاديب المفرد الشيخ أبى نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدسى رحمه الله وأنابه رضاه وهو كتاب يعجز البنان ان يسطر ما يليق برقته ولطفه وان يقوم بواجب حقه وظرفه وكيف لا وهو قد جمع بدائع الاقوال فى مدح الشئ وذمه ورقائق المعانى فى صغر الشئ وعظم كمه

وذلك بالمطبعة الميمنية بمصر المحروسة المحمية بجوار
سيدى أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر
المنير وذلك فى شهر شعبان المعظم
سنة ١٣٢٤ هجريه على
صاحبها أفضل الصلاة
وأزكى التحية
آمين